الفصل الاول

التاريخ المزدوج

*

في قبر مجهول .. يرقد الآن منشىء دولة اسرائيل الجديدة.. ولولا الشاعر المجهول الذي كتب المزمور السابع والثلاثين ، لما كان هناك من دولة يهودية اليوم . فبعد ان قوض الاشوريون بنيان مملكة اسرائيل الشمالية عام ٧٢١ قبل المسيح ، ودمر الرومان الولاية اليهودية عام ٧٠ بعد المسيح .. بقيت فكرة دولة اسرائيل حيّة في كلمات هذا المزمور :

« على انهار بابل هناك جلسنا . بكينا ايضاً عندما تذكرنا صهيون . على الصفصاف في وسطها علقنا اعوادنا . لانه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة ومعذبونا سألونا فرحاً قائلين : رنموا لنا من ترنيمات صهيون . كيف نرنم ترنيمة الرب في ارض غريبة . ان نسيتك يا اورشليم تنسى يميني . ليلتصق لساني بحنكي ان لم اذكرك ، ان لم افضل اورشليم على اعظم

فرحي . اذكر يارب لبني ادوم يوم اورشليم
القائلين هدوا هدوا حتى الى اساسها . يا بنت
بابل المخربة طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي
جازيتنا . طوبى لمن يمسك اطفالك ويضرب بهم
الصخرة » .

من هذه الكلمات نبتت بذرة فكرة الصهيونية الوطنية ، على الرغم من ان تقليداً كان قد غرس عميقاً في نفوس اتباع « يهوا » — الله كما كان يدعوه اليهود — عندما اخذ نبوخذ نصر اليهود سبايا الى بابل عام ٥٨٦ قبل المسيح اذ خاطبهم نبيهم « ارميا » بهـــذه الكلمات :

« أبنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات
وكلوا ثمرها . خذوا نساء ولدوا بنين وبنات
وخذوا لبنيكم نساء واعطوا بناتكم لرجال فيلدن
بنين وبنات ، واكثروا هنـــاك ولا تقلوا .
واطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم اليها وصلوا
لاجلها الى الرب لانه بسلامها يكون لكم سلام. »

هذه هي الفلسفة السمحة التي بنيت عليهـــا اسس المعتقدات اليهودية ، ولم يوجه الانبيـــاء العبرانيون عاموس وارميا وميخا واشعيا وايليا اهتمامهم ابداً لاستعادة السلطة الزمنية وانما حصروا هذا الاهتمام في دفع الظلم عن بني قومهم ، وحثهم على عبادة الله ، إله الرحمة ، والتمسك باهداب الفضيلة والحق .

وقد كتب النبي اشعيا عام ٥٣٦ قبـل المسيح مؤيداً اقوال النبي ارميا ، ومتنبئاً بظهور المسيح المنتظر . وعبارته المشهورة : « في العام المقبل سنكون في اورشليم » لم يقصد بها قوماً معيناً ،

بل عنى بها احيـــاء مملكة الله ، التي ستكون نواة لمجتمع امثل يسكنه رجال مثاليون .

وقد وصف هذا النبي في التوراة رسالة اليهودية بقوله :

.. «لان بيتي تجري وتسير اليه كل الشعوب، ويقولون هلم نصعد الى جبل الرب ، الى بيت إله يعقوب ، فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله ، لانه من صهيون تخرج الشريعة ، ومن اورشليم تخرج كلمة الرب ، فيقضي بين الامم ، وينصف الشعوب كثيرين لا ترفع امة على امة سيفاً ، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد ، يا بيت يعقوب هـلم نسلك في نور الرب . »

وتاريخ الشعب الذي جاء بعد بني يهوذا والذي عرف فيما بعد باليهود ليس سوى استمرار للصراع بين العقيـدة الدينية البحت ، وبين الفكرة الرامية الى انشاء دولة وشعب مختار .

وعندما هزم الملك كورش الفارسي نبو نيدس آخر ملوك بابل ، سمح لسبايا اليهود (عام ٥٣٨ قبل المسيح) بالعودة الى ديارهم واعادة بناء معبدهم في اورشليم . وقد عاد يومذاك بعض اليهود ، ولكن غالبيتهم الساحقة فضلت البقاء في المنفى ، بعد ان ازدهرت احوالها ، وبعد ان اعتادت على ان تقيم طقوسها الدينية في غير معبد اورشليم ، في «الكنيس اليهودي » الذي اقامته هناك لهذه الغاية ، والذي اتخذ عنه المسيحيون والمسلمون نظام معابدهم فيما بعد .

والذين عادوا الى اورشليم من الأسر هم الذين حمـــلوا معهم فكرة الوطن القومي اليهودي وشعب الله المختار ... وقد ظلت

هـــذه الفكرة تراود افكار قادتهم الذين تولوا حكمهم في ظل الامبراطورية الفارسية وما عقبهـــا من حكم اليونان والسوريين والرومانيين .

ومن ذلك ... ان الكاهن عزرا ، ومن بعده نحميا ، حظرا على اليهود الزواج من غير بني قومهم .. وغدا المعبد عندها مركزاً للنشاط الديني والقومي معاً ..

ولكن الحكم الاجنبي المتواصل عرّض اليهودية لتطورات شتى ، ففيّر الكثير من تقاليدها الدينية ومنهج حياتها ... وكان للمدنية اليونانية المزدهرة تأثيرها العميق على اليهودية حتى في قلب اورشليم نفسها ، فقد فضل فريق من النشء اليهودي الجديد طرق الحياة اليونانية المتحررة على القيود الدينية المتزمتة ، وأعجب بالادب والفن اليونانيين ، كما أعجب باللبـاس اليوناني الزاهي الالوان .. فتولى تقريب وجهات النظر بين المؤمنين بالتوحيد من اتباع يهوا وبين اليونانيين الوثنيين .

ولكن هذا الفريق من اليهود المتحررين ، تعرض لحملات عنيفة من المحافظين الذين أصروا على التقيـــد بتعاليم الدين الواردة في التوراة والتلمود تقيداً تاماً ... هذه التعاليم التي تشمل جميع مناحي الحياة العامة كالصحة ، والارث ، والنظافة ، والزراعة ، واللباس ، والمأكل ، والعمل ، والتي تحتم على اليهودي تطبيقها والتقيد بها .

ومـع هذا الخلاف ، راح الفريقان يتبادلان التهم : المحافظ يتهم اليهودي الآخذ بعادات اليونان بالخيـــانة ، والمتحرر يتهم اليهودي المحافظ بالرجعيـة والجمود . وبين هؤلاء واولئك وقفت

غالبية كبيرة من اليهود على الحياد ، وتركت للكهنة امر معالجة هذه النواحي الدينية الشائكة والفصل بها .. ولكن هؤلاء الكهنة كانوا دوماً مع المحافظين .

وقد حدث عندما أراد فريق اليهود المتحرر بناء ملعب يوناني لممارسة الالعاب الرياضية ، ان رفض الكهنة السماح لهم باقامة هذا الملعب على ارض يمتلكها يهود متطهرون ..

ومع كل هذا ، كان مقدراً ان يتضاعف كثيراً عدد اليهود الآخذين باسباب الحياة اليونانية ، لولا الاضطهاد الفظيع الذي انزله انطيوخوس ابيفانوس الحاكم السوري على فلسطين باليهود في ذاك الحين .

وقد تميزت السنوات الاخيرة من تاريخ اليهودية تحت حكم الرومان بطابع خاص ، اذ برز الخلاف على اشده بين فئة الكهنة الارستقراطية المعروفة بالصدوقيين ؛ التي كانت تنادي بحرفية تعاليم الدين ، وبين فئة دينية اخرى معروفة بالفريسيين ، والتي كانت تساير تطور الزمن ، وتضيف الى التعاليم الدينية شرائع جديدة تتفق ومتطلبات الحياة الراهنة .

وقد قيل ان السيد المسيح نفسه كان « فريسياً » ، وعارض في خضوع الروح للمادة :

فيوم السبت مثلا ، جعل لراحة المرء ، ولم يجعل لتعذيبه « والانسان هو بعمله الصالح وليس بأصله » كما ورد ذلك في المثل الذي ضربه السيد المسيح عن « السامريّ الصالح » . ولكن هذه التحذيرات لم تلق سوى آذان صماء .. تماماً كما لاقت من قبل

صرخات النبي عاموس عندما قال لبني قومه :

« ألستم لي كبني الكوشيين يا بني اسرائيل
يقول الرب . ألم اصعد اسرائيل من أرض مصر
والفلسطينيين من كفتور والاراميين من قير .
هوذا عينا السيد الرب على المملكة الخاطئة
وابيدها عن وجه الارض غير اني لا ابيد بيت
يعقوب تماماً يقول الرب »

وأساء اليهود الى السيد المسيح على صراحته ، كما اساءوا من قبل الى رسلهم .. فان اهتمامهم كان منصباً على الخلاص من النير الروماني اكثر من اهتمامهم بالاصلاح الديني .. ولذلك ساروا وراء عدد من ادعياء النبوة، هم في حقيقتهم محترفو سياسة يتسترون بستار الدين . وكنتيجة حتمية لظهور هؤلاء الادعياء ، قامت عدة ثورات ضد روما .. قادها بعض المتطرفين من اليهود الوطنيين ، ولكن الفشل كان مصيرها ، وأسفرت عن كسر شوكة اليهودية ، وجعلت من فلسطين مستعمرة رومانية .

وفي مطلع عام ١٣٢ ميلادية قام «باركوكبا» يسانده الحاخام «اكيبا» بحركة تحريرية ضد الامبراطور الروماني هدريان ، الغاية منها لمّ شمل اليهود تحت راية وطن قومي؛ ولكن القائد الروماني تنيوس روفوس تمكن من اخماد الثورة ودخل اورشليم بعد تدميرها ، واقام معبداً للاله جوبيتر اليهودي مكان المعبد القديم .

وفي خلال الحكم الروماني الثاني، شغل اليهود باقتتال حكامهم على السلطة . فقد تعاقب على الحكم، اسرة كوهين كادول ـ التي كانت تدعي انها تنحدر بأصلها من الكاهن الاكبر زادوك الذي عاصر

النبي صموئيل – ثم ملوك الهاسمونيين ، واخيراً مجلس السنحدرين . .

وفي عام ٣٢٠ قبل المسيح ، عندما عاد القائد بطليموس لاجي الى مصر بعد غزو فلسطين ، رافقه عدد كبير من اليهود واتخذوا من الاسكندرية موطناً لهم ، وما ان اطل عام ٢٥٠ قبل المسيح حتى كانت الاسكندرية تضم اكبر عدد من اليهود باستثناء اورشليم لان رهطاً كبيراً منهم كان قد هرب الى وادي النيل منذ الغزو البابلي . .

وهؤلاء اليهود الذين استوطنوا الاسكندرية لم يفكروا اطلاقاً بالعودة الى اورشليم ، فقد استقروا في موطنهم الجديد ، وتأثروا بالبيئة اليونانية المحيطة بهم ، كما تركوا بدورهم اثرهم في هذه البيئة بما حملوه معهم من تعاليم دينية . وكان من نتاج هذا الاختلاط ، ان ترجمت التوراة الى اللغة اليونانية ، لان اليونانية كانت قد حلت محل الارامية والعبرية بين يهود مصر .

والفيلسوف الاسكندري فيلو نفسه كان من اصل يهودي . . وقد ذكر في احدى رسائله بان اليهود يعتبرون اورشليم ، حيث يوجد المعبد المقدس ، بيتاً لهم . . ولكنهم ينظرون الى البلد الذي يعيشون فيه وعاش فيه من قبلهم آباؤهم وجدودهم ، نظرتهم الى وطنهم الأصلي .

وقد استطاعت اليهودية ، بكونها الديانة الموحدة الوحيدة في عالم وثني ان تضم اليها اتباعاً جدداً في بلدان عديدة ، ووجدت اهداف النبي شعيا تحقيقاً لها في البعثات التبشيرية . . فقد نشر التجار اليهود دينهم شرقاً حتى الهند والصين ، ونشرها البعض الآخر غرباً حتى ايطاليا وفرنسا . كما هاجر بعض اليهود الى الصحراء العربية

وادخلوا في دينهم شعوب اليمن السامية .

وفي ايام الرومان ، كان عدد المؤمنين باليهودية في انحاء العالم اضعاف العدد الموجود في الارض المقدسة . حتى ان كثيرين من اشراف روما احتضنوا بعض تعاليم اليهودية، وخاصة مبدأ التوحيد الذي تدعو اليه ، واعجبوا ايما اعجاب بمنهج حياتها ونظمها الخلقية .

ولكن حركة التبشير اليهودية شلت مع ظهور المسيحية فقد تولت الديانة الجديدة الدعاوة لمبدأ التوحيد في العالم الوثني ، (ومن بعدها تولاها الاسلام) .

وعندما بدأ بولس الرسول رسالته التبشيرية حصر جهوده في البدء في تحرير عقول اليهود المتزمتين من الفكرة التي استحوذت عليهم ، والقائلة ان المسيحية ليست سوى ديانة قديمة لعبادة يهوا .

وعندها انصبت جهود اليهودية في امر الابقاء على جبهتها ...

ففي بابل .. استقبل الفرس اليهود المهاجرين من الامبراطورية الرومانية بالترحاب، وسمحوا لهم بالعمل الى جانب اخوانهم المستوطنين في البلاد عقب الاسر البابلي .. وكان يحكم هؤلاء اليهود المستوطنين امير منهم (يعتقد انه من نسل داود) يسمى « راش غالوطة » اي رئيس الاسرى .. وهذا النوع من الحكم الذاتي كانت تفرضه تعاليم التلمود ..

ولكن بدء الاصطدام بين اليهودية والمسيحية كان ضربة قاصمة لحركة الاصلاح التي ينادي بها رسل اليهودية .. فشلتها تماماً، كما دفنت رسالة اليهودية كديانة توحيد، في الطقوس والتعاليم فقط .

وكان من جراء ذلك .. ان قام قادة اليهودية ينادون بقوة

بالعزلة التامة ، ليتحرروا من رواسب التأثير اليوناني ، وبالتالي من مزاحمة المسيحية ، التي بسطت آنذاك نفوذها في كل مكان ، وغدت بعد قانون ثيودوسيوس الثاني (عام ٤٩٢) وقانون جوستينيانوس (عام ٥٥٥) تلتصق التصاقاً كلياً بالامور الزمنية ، فوضعت حداً فاصلاً بين المسيحية وبين كل ما هو غير مسيحي ، كما قضت على ما كان اليهود يتقيدون به من تعاليم التلمود « بانشاء دولة لهم ضمن دولة » .

وفي اوروبا الغربية كان اليهود يقطنون غالباً في احياء خاصة من المدن ، ليحموا انفسهم واموالهم من عالم لا يكنّ لهم صداقة ، ففي اسبانيا مثلاً كان اليهود يسكنون في احياء خاصة تحيط بها جدران مرتفعة ، تسمى « الغيتو » .

وقد وجد المسلمون ، عندما غزوا اسبانيا عام ٧١١ ، حليفاً طبيعياً في اليهود ضد الاسبان المسيحيين ، اذ تمكنوا بمساعدتهم من التوغل في الاندلس والاستيلاء على شبه الجزيرة بكاملها .

ومقابل هذه المساعدة ، نال يهود اسبانيا حظوة عند الفاتحين العرب ، فتقلدوا مناصب عليا في دولة الاندلس الاسلامية ، كما مارسوا تجارتهم بحرية تامة ، ولمع منهم عدة اعلام في الادب والعلوم والفلسفة منهم الشاعر يهوذا بن حلفي والفيلسوف موسى بن ميمون . وبفضل هؤلاء عاش اليهود عصراً ذهبيا في الاندلس ..

ولكن هذا العصر الذهبي انهار عندما انتهى الحكم في الاندلس الى الخليفة الاموي المهدي الذي كان يكره اليهود والمسيحيين معا ، وكان ان خيّرهم بين اعتناق الاسلام او النزوح عن اسبانيا ،

فاقبل فريق كبير منهم على اعتناق الديانة الجـــديدة ، ورددوا الشهادة : « ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله ..» التي كانت تبدو لهم غير مختلفة عن مبدأ توحيدهم ..

واخيراً .. استطاع ملوك اوروبا المسيحيين مـــن اخراج العرب من اسبانيـــا ؛ فابقوا في بادىء الامر على احياء اليهود ، ولكن المسيحيين المتعصبين قاموا يطالبون بالثأر من « قتلة السيد المسيح » ، وانطلقت صيحة « قتلة المسيح » تتجاوب في كل ارجاء اوروبا وخاصة في مقاطعتي الكاستيل واراغون حيث لاقى اليهود اضطهاداً فظيعا ، فاضطر فريق كبير منهم الى اعتناق المسيحية ظاهريا ، لينجو من الاضطهاد والتعذيب .. بينما ظـل في اعماقه يهوديا ، يمارس طقوسه الدينية سراً في سراديب خاصة اقاموها لهذه الغاية . ولكن عندما راحت محاكم التفتيش تقوم باعمالهـــا الارهابية ضد المسلمين واليهود والهراطقة ، اضطر فريق آخر من اليهود الى الالتجاء الى شمالي افريقيا واميركا . حتى ان الفيلسوف موسى بن ميمون نفسه لجأ الى مصر ..

واجتاحت بلدان اوروبا في هذه الحقبـة من الزمن ، موجة جامحة من اضطهاد اليهود ، وخاصـة في اسبانيا والبرتغال .. كما نالهم من الحكام الاقطاعيين شيء كثير من التعذيب والتضييق على حرياتهم الدينية .. وهكذا غدا نظاما متبعا ان يعيش اليهود في حي خاص محاطا باسوار « الغيتو » .. فباتوا من جراء ذلك في عزلة تامة ، ينكمشون على أنفسهم ويمارسون طقوسهم الدينيـــة وفقاً لتعاليم التلمود في اضيق حدود .

واول يهودي سعى لتقويض اسوار « الغيتو » ، وتحـــرير اليهود من انعزاليتهـم ، هو موسى مندلسون ، الذي كان يعيش حياة طليقة بين مواطنيه الالمان في برلين ، مع محافظته على ايمانه اليهودي الصحيح . وكان من رأي مندلسون .. انه لـكي يتحرر يهود العالم من انعزاليتهم وتعصبهم الديـني الاعمى ، ان ينصهروا في البيئة التي يعيشون فيها ويتعلموا لغتها .. لان اليهود كانوا في ذاك الحين يتكلمون اما العبرية او لغة خاصة بهم تسمى «ييدش» (وهي لهجة منتزعة من الالمانية وتكتب بالحروف العـبرية) ، وقد قرن مندلسون قوله بالعمل ، فافتتح مدرسة لليهود في قلب برلين ، وحتم على النشء اليهودي الجديد تعلم اللغتين الالمانيـــة والفرنسية ، كما حثّ ابناء جلدته على الاختلاط بسكان البـــلاد واغتنام موجة التسامح التي اظهرها الحكام نحو اليهود بعد عـــام ١٨٧٢ . ولكن مجلس المتدينين شن الحرب على حركة مندلسون ووصفها بانها خروج على تعاليم اليهودية .

ثم كانت الثورة الفرنسية .. فاستفادت اليهودية كثـيراً من مبادئها التحررية ، وقام رجال الثورة : ميرابو ، والاب غريغوار ، وسانت ايتين ، يقاتلون من اجل بسط ظـل المساواة والاخوة على الجميع . وقد أكد هذه المبادىء الثورية كليرمون تونيـــير احد اعضاء المجلس التأسيسي بالكلمات التالية : « اننا لا نمنح شيئاً لليهود كشعب .. ونمنح كل شيء لليهود كمواطنين .. » وعندها نالت اليهودية المساواة التامة في فرنسا .

وفي عام ١٨٧٤ نال اليهود في انكلترا وهولندا والمانيـــا

وبلجيكا والدانمرك والنروج كامل حقوقهم الدينية والسياسية .. في الوقت الذي كان فيه يهود اوروبا الشرقية يكافحون لنيل حرياتهم الدينية والسياسية اسوة باخوانهم في اوروبا الغربية .

ومن الروسيا .. اندلعت الشرارة الاولى للصهيونية ، كحركة سياسية تهدف لاستعادة مجد صهيون في ارض الميعاد.. وراحت بذرة هذه الفكرة تترعرع في نفوس غلاة اليهود ذوي المطامع السياسية . وكان اول ما اعتمدت عليه هو صهر الاماني الدينية في بوتقة خاصة تهدف الى نيل الحرية عن طريق برنامج وطني مثالي .. واول تعريف لاهداف الصهيونية هو ما ذكره موسى هس في كتابه « روما واورشليم » عام ١٨٦٢ . ثم جاء الفيلسوف الصهيوني ليونبسكر بعد عشرين عاماً فأصدر كتاباً بعنوان « التحرير الذاتي » دعا فيه ابناء جلدته اليهود الى جمع صفوفهم في كتلة واحدة متراصة ضمن البلد الذي يعيشون فيه ، بانتظار ساعة الخلاص ... اما هدف نبسكر الاسمى فكان انشاء دولة يهودية ، ولكنه لم يصر على انشاء هذه الدولة في الارض المقدسة بالذات .

وفي عام ١٨٨٤ .. عقد اول مؤتمر صهيوني في مدينة بال بسويسرا ، وكان الداعي اليه هو « تيودور هرتسل » حامل لقب الصهيوني الاول. وهرتسل هذا كان صحافياً نمساوياً ، وكان قد حضر محاكمة الضابط اليهودي « دريفوس » في باريس، وتألم كثيراً للحملة المغرضة التي شنتها الصحف الفرنسية على دريفوس اثناء محاكمته .. لانه يهودي .. وكان ان كتب كتابه الاول عن

الصهيونية « دولة يهوذا » شرح فيه هدفها الاساسي ، كما وقف في مؤتمر بال يدعو صراحة الى انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. وقد استجاب لدعوته يومذاك فريق ضئيل من الشباب اليهودي المتحمس ، فحمل الدعوة ينشرها في الاوساط اليهودية في اوروبا في بادىء الامر ، ثم في العالم الجديد .. اميركا . وهكذا ظهر الى الوجود عدة منظمات سياسية تدعو للفكرة الصهيونية ، وتحث الشعب اليهودي على العودة الى فلسطين وتوقظ في اعماقه الشعور الديني والوطني معاً .

ومع ذلك ... ظل هنـــاك من يقف في وجه الحركة الصهيونية .

ففي عام ١٨٨٠ كان عدد اليهود في اميركا حوالي ٢٣٠ الفاً ، هاجر معظمهم من اوروبا الغربية واسبانيا والبرتغال ، وكانوا يندمجون اندماجاً كلياً في الحيـــاة الاميركية ويتمتعون بنفس حقوق المواطنين الاميركيين . وقد قام بعض المتحررين منهم في ذلك الوقت باصلاح بعض الطقوس الدينية الجامدة لتساير تطور الزمن ، دون ان تمس جوهر الدين اليهودي الصحيح . وفي عام ١٨٢٤ اقام اثنا عشر عضواً من المجتمع اليهودي ، على رأسهم الصحفي تشارلستون هاربي ، صلاة دينية ، تلي قسم منها باللغـــة الانكليزية وكانت غاية هذه الحركة المتحررة انشاء «بيت الوحيم» بيت عبادة مصغر شبيه بالكنيس ، اما اول كنيس يهودي شيد في اميركا، فكان ذلك في عام١٨٤١، وقد استخدمت فيه لاول مرة آلة موسيقية « الارغن» لترافق المصلين في ترانيمهم . وفي

الصلاة الاولى التي اقيمت في هـــذا المعبد وقف الدكتور غوستانوف بوزونيسكي يقول : « ان هذا الكنيس هو معبدنا ، وهذه المدينة هي اورشليمنا .. وهذه الارض الطيبة هي ارض ميعادنا .. اي فلسطيننا ... »

وفي المانيا ايضاً ، قامت حركات جدية لاصلاح الاوضاع الدينية وتحريرها من التقاليد الجامدة، وكان في طليعة الداعين لهذه الحركات كيريل رايسر ، الذي نفى صراحة وجود امة يهودية في معناها الصحيح ... ! وقد جاء بعده مصلح آخـــر يدعى ابراهام كايجر ، حاول ان يسير على خطى رايسر .. ولكن هذه الحركة باءت بالفشل ولم يكتب لها النمو في قلب اوروبا المحافظه .. على العكس منها في اميركا حيث لاقت ازدهاراً . فقد تعهدها هناك رجال مصلحون بقيادة اسحاق وايز ؛ وقد وافق المجتمعون في مؤتمر بتسبرغ الذي عقد عام ١٨٨٥ على قبول عدة مقررات اهمها اعترافهم بالحقيقة التاليه : « لن نعتبر بعد اليوم اننا نكوّن امة ما .. بل نعتبر انفسنا نؤلف طائفة دينية ، ولهذا فنحن نقرر اننا لا نرغب بالعودة الى فلسطين ، ولا نريد استعادة ارض الميعاد لاقامة دولة عليها ... »

وبعد مرور اثنتي عشرة سنة على مولد فكرة هرتسل الصهيونية عقد المجلس اليهودي الاميركي اجتماعاً اتخذ فيـه قراراً يشجب كل محاولة ترمي الى انشاء دولة يهودية، واعلن معارضته الشديدة للحركة الصهيونية السياسية مصرحاً بان « صهيون » كانت حقيقة وطننا العزيز في الماضي .. ولكنها الآن ليست سوى ذكرى مقدسة

وعزيزة على قلوبنا .. وهي ليست محط آمالنا في المستقبل .. لان اميركا هي ارضنا وصهيوننا .. »

وهكذا يبدو جلياً ان الصهيونية كانت بالنسبة ليهود اميركا الاولين ، حركة سياسية اجنبية .. حتى ان الجريـــدة اليهودية « الاسرائيلي الاميركي » لم تتورع مـن القول بان جميع الصحف اليهودية الصادرة في اميركا كانت تعارض فكرة الصهيونية معارضة عنيفة ، بل انها ذكرت في عام ١٩٠٤ ان هناك اميركياً يهودياً واحداً تجرأ للدفاع عن الصهيونية .

وفي ايام الامبراطورية البيزنطية اعتبرت الطوائف غير المسيحية اقلية دينية وعوملت معاملة خاصة تتفق ومعتقداتها الدينية . اما القوانين الاميركية الحديثة ، فلم تعترف باكثرية تحكم ، واقلية تخضع ، وانما عاملت جميع المواطنين على قدم المساواة دون تمييز .

وعلى الرغم من ذلك .. فان اليهود النازحين من اوروبا حملوا معهم الى اميركا تقاليدهم وانعزاليتهم ، وسعوا لتطبيقها في قلب اميركا فابتعدوا عن المواطنين الاميركيين وعاشوا في احياء خاصة بهم ، كما اعتادوا ان يعيشوا في بلدان اوروبا ..

وفي هذه الاحياء المنعزلة .. وبين فئة اليهود المتزمته وجدت بذرة الصهيونية تربة خصبة لنموها .. وراحت حركات الاصلاح تكافح هذا التيار الجديد الجارف .. تيار الحركة السياسية الصهيونية . وعندما أعلن وعد بلفور القاضي بانشاء وطن قومي لليهود بفلسطين ، تفاوتت حرارة التأييد له :

فقد شنت فئة يهود اميركا المحافظة حملات شعواء على هذا الوعد

بينما قبل دعاة الاصلاح من اليهود بهذه الدعوة ورحبوا بالتعاون مع زعماء الحركة الصهيونية الجديدة منادين **بجعل فلسطين ملجاً امناً للجميع ومركزاً روحياً لليهودية .**

اما غلاة اليهود فقد تشددوا في المطالبة بانشاء وطـــن قومي يهودي بفلسطين .

وهكذا ظل الصراع سجالاً بين الصهيونيين المتطرفين وبين المعتدلين من اليهود حتى كان عام ١٩٣٣ ، عندما شن هتلر حملته الاضطهادية التعذيبية على اليهود في المانيا وبعض بلدان اوروبا .. فانتهز زعماء الصهيونية هذه المناسبة ، وقاموا بحملة دعاية واسعة في الاوساط اليهودية في اميركا واوروبا، راحوا ينشرون خلالها فكرتهم الرامية الى انشاء الوطن القومي اليهودي في ارض فلسطين. وكان طبيعيا جداً ان تلاقي هذه الدعوة ترحيبا واقبالاً من اليهود المضطهدين، واذا بعدد المنضمين الى الصهيونية يقفز فجأة في اميركا الى حوالي ٥٩ الفا، اي مايعادل خمسة بالمائة من عدد يهود اميركا.. واكثر من ذلك .. فقد وقف عدد كبير من المنظمات اليهودية الى جانب الصهيونية يؤيدها في دعوتها لاستعـــادة فلسطين .. والجدير بالذكر ان حملات الاضطهاد التي تعرض لها اليهود منـذ اجيال كانت دوما تدفعهم للالتفـــات شطر فلسطين كملجأ امين ينقذهم من الظلم والاضطهاد .

وفي نهاية القرن التاسع عشر كان عدد اليهود في فلسطين كلها لا يزيد على خمسين الفا .. ولكن ما ان انقضى عامان على اعلان وعد بلفور حتى ارتفع هذا العدد الى ٦٥ الفا ، اي ما يعـادل ٧

بالمئة من عدد سكان البلاد . وكانت نسبة السكان المسلمين في عام ١٩٢٢ تقدر بـ ٧٨ بالمائة ، والمسيحيين ١١ بالمائة ، ومثلهم من اليهود .. ولكن في العشر سنوات التالية ارتفع عدد اليهود حتى بلغ ١٢٠ الفا .. وفي العشرين سنة التي تلت اعلان وعد بلفور بلغ معدل المهاجرين الى فلسطين سنويا من يهود اميركا الخمسمائة يهودي . وعلى الرغم من كل هذا ظلت غالبية السكان عربية .

والجدير بالذكر ان هذه الغالبية العربية كانت منذ ستمائة سنة تعيش بسلام وطمأنينة ، وظلت طوال هذه المدة تتولى الاشراف على الاماكن المقدسة وتبشر بالاسلام كديانة توحيد الى جانب المسيحية واليهودية .

وكان هؤلاء العرب المسلمون يعتبرون فلسطين جزءاً من جنوبي سوريا الطبيعية . حتى قام اخيراً فريق من يهود اميركا يجازفون بالمطالبة بانتزاع هذا الجزء من العالم العربي.

لقد كان زعماء الصهيونية يدركون حقيقة اهدافهم عندما قاموا بحركتهم .. ولكن آلاف اليهود غير الصهيونيين لم يكونوا على بيّنة من هذه الاهداف ، ومع ذلك قدموا المساعدات المادية والمعنوية الى الحركة الصهيونية لتحقيق خطتها .. تلك الخطة التي تورد يهود العالم موارد الهلاك والدمار ..

الفصل الثاني

ملجأ أم دولة ..؟

*

في مطلع الحرب العالمية الاولى ، انحـــاز فريق من قادة الصهيونية الى صف المانيا ، وراح يقاوم النظام القيصري في روسيا مقاومة شديدة فعالة ، اذ كان يعتقد ان المانيا ستخرج منتصرة من هذه الحرب ، وستمنح عندها الصهيونيين ارض فلسطين ، لينشئوا عليها دولة لهم .

ولكن ما ان حلّ عام ١٩١٦ ، حتى شعر هـذا الفريق من قادة الصهيونية بالندم على مسايرته لألمانيا ، بعد ان باءت بالفشل جميـع مساعيه ومحاولاته للحصول على مساعدة من المانيا لانشاء الوطن القومي اليهودي .

وأدى هذا الفشل الى تحويل انظار قادة الصهيونية الى لندن ، فراحوا يبذلون المساعي الجدية في دوائرها السياسية حتى حصلوا على وعد بلفور المعلوم .

وقد قيل يومذاك ان بريطانيا تعهدت لليهود بموجب هذا الوعد « بموطىء قدم » في فلسطين، ومقابل ذلك تعهد اليهود بالوقوف الى جانب الحلفاء في صراعهم ضد المانيا، كما اخذوا على عاتقهم، بما لهم من نفوذ في دوائر الولايات المتحدة السياسية، اقناع المسؤولين في واشنطن بدخول الحرب الى جانب انكلترا وحليفاتها. وقد اعلن لويد جورج احد رؤساء الوزارة البريطانية ابان الحرب العالمية الاولى، وصديق حاييم وايزمن الحميم، في التقرير الذي وضعته اللجنة الملكية لفلسطين عام ١٩٣٧ مانصه :

« لقد وعد زعماء الصهيونية بتقديم جميع المساعدات المادية والمعنوية للحلفاء، اذا قدمنا لهم التسهيلات اللازمة لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .. ولقد وفى اليهود بوعدهم نحونا .. »

وهذه العبارة الصادرة عن احد «الكبار الاربعة» الذين قرروا مصير العالم بعد الحرب العالمية الاولى، تعبّر بوضوح عن الفترة القاسية التي مرت بها بريطانيا وحليفاتها عام ١٩١٧، ومن الطبيعي ان يقدّر المسؤولون البريطانيون مساعدة اليهود، ويشيدون باثرها لاسيما في الولايات المتحدة حيث كان لليهود نفوذ واسع في مختلف مرافق الحياة.

والمعتقد ان موافقة بريطانيا على اعلان وعد بلفور لم يكن اقتناعاً منها بحق اليهود فحسب، بل ان عدة اعتبارات سياسية وعسكرية حملتها على ذلك، ومن هذه الاعتبارات ما له ارتباط وثيق بوضع قناة السويس المجاورة لفلسطين. فقد كتب سكوت محرر صحيفة « مانشستر غارديان » واحد مؤيدي الحركة الصهيونية

تعليقاً على ذلك ما نصه :

« ان انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين سيكون في مصلحة بريطانيا ، لانه يحمي منطقة السويس الانكليزية من اي اعتداء خارجي ... »

وفي مناسبة اخرى وقف تشرشل في مجلس العموم عام ١٩٣٧ مشيراً الى وعد بلفور فقال :

« ان بريطانيا قد ضمنت لليهود هـذا الوعد مقابل الخدمات الجلى التي قدمها اليهود لبريطانيا وحليفاتها .. »

ولكن مهما قيل عن حكومة لويد جورج وعن غايتهـا في منح مثل هذا الوعد ... فالشيء الاكيد هو ان اليهود رحبوا به ايما ترحيب ، بينما اعتبره زعماء الصهيونية نصراً كبيراً لهم .

اما النسخة الاصلية من وعد بلفور فقد سلمت الى حاييم وايزمن نفسه ، وهي تنص على اعتبار « فلسطين الوطن القومي للشعب اليهودي ... »

ولكن عندما شرع في وضع هذا الوعد موضع التنفيـذ من قبل الساسة البريطانيين ، رأوا ان يدخلوا عليه بعض التعديلات حتى يأتي منسجماً مع السياسة البريطانية المعروفة بالغموض ..

فجرى التعديل ، وصارت الجمـلة المتعلقة بمصير فلسطين على الوجه التالي :

« ... والسعي لتهيئة فلسطين **كوطن قومي للشعب اليهودي ...** »

ومعنى ذلك ان الساسة البريطانيين حاولوا التهرب من تحمل

مسؤولية انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، بكل ما في هذه الجملة من معنى ، لا سيما بعد ان لمسوا ان انشاء دولة سياسية يهودية في فلسطين يسيء الى حلفائهم من العرب ، وفي طليعتهم الشريف حسين .

وقد بالغت بريطانيا فيما بعد في التصريح بان انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين معناه الحاق الاضرار الجسيمة بالسكان غير اليهود : العرب المسلمون والمسيحيون ...

ومع ذلك فقد لجأت السياسة البريطانية الى اساليبها الملتوية ، وراحت ، تنفيذاً لوعد بلفور، تشجع الهجرة اليهودية الى فلسطين، وتساعد اليهود على استملاك الاراضي وبناء المستعمرات والمزارع . . وكل ذلك تحت الستار المعهود الذي اخذت تصرح به في كل مناسبة، وهو : على شرط ان لا ينجم عن هذه الاعمال ضرر يمس بحقوق السكان المدنية او الدينية .

وقد كتب احد قادة الصهيونية الروحيين المدعو احاد حاييم عام ١٩٤٠ ما نصه :

« اذا كنتم تريدون بناء بيوتكم على ارض يشاركم في ملكيتها غيركم . . فانتم اذن اسياد فقط ضمن حدود تلك البيوت »

وبعبارة اوضح ، فان قادة الصهيونية لم يكتفوا بما نالوه من وعد ، بل راحوا يكافحوا في سبيل توطيد اقدامهم وجعل تلك الارض المقدسه بكاملها ، ملكاً لهم وحدهم لاينازعهم فيها منازع .

ومما يذكر ، ان لويد جورج كان قد ارسل الى اللورد كيرزون قبل اسبوع من صدور وعد بلفور ، تقريراً يوضح فيه

مهمة بريطانيا في فلسطين وقد جاء فيه :

« ان مهمة الادارة الاوربية – غـــير اليهودية – في ارض فلسطين ترمي اولاً الى اقرار النظام والامن وحماية الاماكن المقدسة المسيحية واليهودية والاسلامية على السواء .. ولذلك فهي تضمن لليهود ولغير اليهود الحقوق المدنية والدينية معاً . »

واستناداً الى ماتقدم ، لا يمكن ابداً اعتبار وعد بلفور او الانتداب البريطاني على فلسطين ، خطوة مباشرة لانشاء دولة يهودية في ارض الميعاد ، اذ ان يهود بريطانيـــا الذين وقفوا الى جانب وايزمن في حركته ، امثال روتشيلد ... ظلوا دوماً ، وقبل كل شيء مواطنين بريطانيين مخلصين ، لا يتخلون عن جنسيتهم البريطانية مهما كلفهم الامر .. وكانت كلمة «يهودي» لاتهز مشاعرهم الا داخل الكنيس . . . كما كانت عبارة « الوطن القومي» بنظرهم عبارة عن « مركز روحي للعبادة » . وقد اشار اللورد بلفور نفسه الى ذلك عندما اوضح وعده المشهور بقوله :

« ان عبارة الوطن القومي تعني انشاء نظام من الحماية يشرف عليه بريطانيون واميركيون ، وبذلك يتسنى لليهود اقامة مركز صحيح لثقافتهم الوطنية ... »

كما ان تشرشل اوضح هذه النقطة بالذات عام ١٩٢٢ في كتابه الابيض اذ قال :

« ان انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين لا يعني ابداً اقامة حكومة يهودية للتسلط على السكان العرب هنـاك ... فنحن لن نسمح لفريق ان ينتزع قسراً حقوق الفريق الآخر ... »

وعندما طرح وعد بلفور على بساط البحث في مجلس الامم ، تولى بلفور بنفسه الدفاع عنـــه ، وشرح لممثلي الدول الغاية من صدوره .. فكان ان وافق عليه المجلس دون تعديل .

وقد حرصت بريطانيا في فترة انتدابها على فلسطين ان تتقيد ظاهرياً بسياسة المساواة لجميع السكان ، ولكنها عمدت في الوقت نفسه الى تنفيذ ما وعدت به اليهود .. وفقاً لوعد بلفور ..

هذا .. كما ان وعد بلفور لم يثر مخاوف العرب اطلاقـــا في سنواته الاولى ، لانهم لم يدركوا ما تخبئه لهم الصهيونية الا بعد فوات عدة سنين . واوضح دليل على ذلك ، ان الامير فيصل بن الحسين لم يعترض على وعد بلفور عندمـا اطلعه عليه الدكتور وايزمن مندوب المنظمات الصهيونية في ذلك الحـــين . فالعرب قبلوا وعد بلفور في بادىء الامر على علاتـــه ، ولم يعترضوا على هجرة اليهود الى فلسطين ، شرط ان لا تمس مصالحهم هناك .

ولا نكون مغالين اذا قلنا ان عدداً من المسؤولين البريطانيين والاميركيين اعتقد انه من السهل انشاء دولة يهودية في فلسطين ، اذا ما استطاع ايجاد اكثرية يهودية في البلاد مع مرّ الزمن .. هذا مع العلم ان عدد اليهود كان في عام ١٩١٩ لا يتجاوز عشر سكان فلسطين .

على كل حال ، لقد وجدت بريطانيا نفسها مضطرة فيما بعد ، محافظة على مصالح امبراطوريتها ، ان تتعهد للملك حسين بعـدم اتخاذ اي خطوة من شأنها مس حرية سكان فلسطين العرب ، كما تعهدت بان لا تساعد شعباً على آخر للسيطرة على ارض فلسطين .

والجدير بالذكر ان هذا التصريح صدر عن حكومة بريطانيا بعد اعلان وعد بلفور ببضعة اسابيع ، وتولى نقـــله الى الملك حسين وزعماء العرب ، الكولونيل لورنس .

وقد ارسل القائد البريطاني هو كارت تقريراً الى المفوض السامي البريطاني في القاهرة يشرح فيه نتيجة مباحثاته مع الملك حسين وقد جاء فيه :

« ان الملك حسين لن يوافق على اقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين ... ومع انني كنت غير مكلف رسمياً بمباحثته .. الا انني لمست منه اهتماماً كبيراً في معرفة مصير فلسطين ... »

كما ان لورنس ابلغ حكومته فيما بعد ان الملك حسين « لا يسعه مطلقاً الموافقة على انشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين ، ولكنه لا يمانع في هجرة اليهود اليها ، شرط ان تكون مقيدة ... »

وقبيل نهاية عام ١٩١٩ أرسل الرئيس ويلسون «بعثة كراين» لاجراء استفتاء بين افراد الشعوب في فلسطين وسوريا ولبنان من أجل تقرير مصيرها ..

وعندما عادت البعثة الى بلادها رفعت تقريراً قالت فيه :

« ان انشاء وطن قومي للشعب اليهودي ، لا يعني جعل فلسطين دولة يهودية ... لان اقامة مثل هـــذه الدولة تعتبر افتئات على حقوق السكان العرب الدينية والمدنية بفلسطين ... »

اما التعهدات التي تضمنها وعد بلفور ، والتي من شأنها المحافظة على عرب فلسطين وعلى اليهود غير الصهيونيين في العالم ، فلم تؤخذ بعين الاعتبار فيما بعد ، اذ أن قرارات هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ،

جاءت مطابقة للنص الأصلي لوعد بلفور ، وقد تناست تلك الهيئة الوعود المقطوعة لفئة من ابناء الانسانية المعذبة ـ وهم يهود اوروبا المشردون ـ الذين طالبوا بالعودة الى اوطانهم الأصلية للعيش في البيئة التي نشأوا فيها وألفوها .

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية ، خلفت وراءها مشكلة انسانية قاسية ، هي مشكلة الاشخاص الذين نزحوا عن اوطانهم هربا من الموت الذي كان يلاحقهم به اعوان هتلر . وقد كانوا خليطا من سكان النمسا وبولندا وهنغاريا ورومانيا ، وهم ينتمون الى عدة أديان ومذاهب ، منهم حوالي نصف مليون كاثوليكي ، ومائة الف بروتستانتي وحوالي ٢٢٠ الف يهودي ، وكان مائة الف من هؤلاء اليهود محتشدين في معسكرات الاعتقال بالمانيا والنمسا وايطاليا ، بينما توزع حوالي ٥٠ الفا في بريطانيا و١٢ الفا في السويد وعشرة آلاف في سويسرا ...

كانت مشكلة .. وكان على الحلفاء المنتصرين ان يجدوا لها الحل ..

وبالفعل فقد كتب الرئيس ترومان في ٣١ تموز ١٩٤٥ رسالة الى رئيس الحكومة البريطانية كليمنت اتلي ، يقول فيها ان اصدار مائة الف بطاقة هجرة الى الولايات المتحدة قد يساعد على حل قضية مشردي اوروبا ... وقد نشر نص هذا الكتاب السناتور غي جيليت بعد مضي ثلاثة أشهر من ارساله .

اما الحكومة البريطانية فقد اعلنت موقفها من هذه القضية في تصريح رسمي صدر في تشرين الثاني ١٩٤٥ قالت فيه انه لا يمكنها الموافقة على سياسة انتقال اليهود من اوروبا ، او الحؤول

دون استيطانهم في تلك البلدان الاوروبيـــة ، دون تمييز في العنصر .. لان وجودهم في تلك البلدان يساعد بما لهم من خـــبرة ومهارة في اعادة بناء اوروبا وازدهارها .

ودعا رئيس الحكومة البريطانية في نهاية تصريحه الى اجراء تحقيق مشترك في هذه القضايا، من قبل لجنة اميركية – بريطانية. وقد رحب الرئيس ترومان بهذه الدعوة ... بينما ثار لهـــا زعماء الصهيونية وقابلوهـــا بالاحتجاج ووصفوها بانها « خيانة جديدة » لقضيتهم لن يخضعوا لنتائجها ..

وعلى الرغم من ذلك ، تألفت بعثـــة التحقيق الاميركية – البريطانية في ١٠ تشرين الاول ١٩٤٥ ، وكانت مكونة من ستة اعضاء اميركيين ومثلهم بريطانيين ، وكانت مهمتها درس الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين ، دراسة دقيقـــة ، على ان تولي عناية خاصة قضية هجرة اليهود الى ارض الميعـــاد وامكانية اقامتهم فيها .. وكان من مهمتها ايضاً درس وضع اليهود الاوروبيين ، لتحديد العدد الذي يرغب بالهجرة الى فلسطين او الى غيرها من البلدان خارج اوروبا .

وقد كان من بين اعضاء البعثـــة القاضي الاميركي جوزف هوتشيسون والدكتور فرانك ايديلوت مدير الدراسات العليا في جامعة برنستون ، وسفير اميركا السابق في ايطاليا وليم فيليبس ، وجيمس ماكدونالد الذي اصبح فيما بعد سفيراً للولايات المتحدة باسرائيل ، والنائب البريطاني كروسمان ، وقد عقدت البعثـــة اولى اجتماعاتها في واشنطن في مطلع شهر كانون الثـاني ١٩٤٦ ،

واستمعت الى وجهات نظر ممثلين عن المنظمات اليهودية وعن المسيحيين والمسلمين ، ثم تتابعت اجتماعاتها في لندن، بعد ان تفرع عنها عدة لجان فرعية كلفت بالطواف في انحاء اوروبا لدرس حالة اللاجئين فيها .

ثم عقدت البعثة عدة اجتماعات بعد ذلك في مصر بكامل اعضائها، واستمعت خلالها الى ممثلي الوكالة اليهودية – وهي المنظمة الرسمية التي كان لها الحق بالتكلم باسم يهود فلسطين – كما استمعت الى المنظمات والهيئات العربية . وقبل ان تنهي البعثة تحقيقاتها في بلاد الشرق الاوسط ، زارت لجنة فرعية من اعضائها عواصم سوريا ولبنان والعراق والسعودية العربية والاردن ، واستمعت الى آراء المسؤولين هناك في القضيه الفلسطينية ، وبعدها انتقلت البعثة الى سويسرا فوضعت تقريرها النهائي الذي اذيع في واشنطن ولندن في وقت واحد يوم ٣٠ نيسان ١٩٤٦ .

واهم ما جاء في التقرير : « ان البعثة اوصت بمنح مائة الف من يهود اوروبا المشردين الذين قاسوا الاضطهاد والتعذيب في العهدين النازي والفاشستي حق الدخول الى فلسطين .. »

ويضيف التقرير : « بان اليهود لن يسيطروا على العرب .. وان العرب لن يسودوا على اليهود في فلسطين ، لان هذه الارض المقدسة لن تكون يوماً ، دولة يهودية او عربية، لان فلسطين ستبقى ارضاً مقدسة في نظر المسيحي واليهودي والمسلم .. ولهذا فلا يمكن ان تكون ارضاً يدعي ملكيتها شعب معين او ديانة معينة .. »

ولكن هذه الحقائق لم ترق لزعماء الصهيونية ، فما كان للاعتبارات

الانسانية اي شأن لديهم امام مطامحهم الوطنية السياسية .

والواقع هو ان الصهيونية لم تفكر يوماً من الايام ان تعالج قضية المشردين اليهود على انها قضية انسانية . . لان هدفها الرئيسي هو انعاش اليهودية الوطنية ودفعها الى انشاء هذا الوطن على اشلاء الانسانية . . وقد رددت هذا الصدى السيدة موشى اينشتين رئيسة المنظمة اليهودية الوطنية في اميركا اذ قالت في خطاب لها مانصه :

« ان الحركة الصهيونية هي برنامج ثوري غايته تحسين اوضاع اليهود في العالم ، وخلق دولة لهم . . »

وحقيقة اخرى . . اشار اليها تقرير البعثة الاميركية — البريطانية ، وهي ان فلسطين لا يمكنها ان تحل قضية الهجرة اليهودية بكاملها . . وعلى اميركا وبريطانيا ان تعملا على ايجاد مساكن جديدة لأولئك المشردين في اوروبا .

وقد لاقى البند الاول من توصية البعثة ترحيباً حاراً في اوساط المنظمات اليهودية ، وهو البند الخاص بادخال مائة الف يهودي الى فلسطين ، ولكن هذه المنظمات شنت حملات عنيفة على بقية ما تضمنته التوصية من بنود . كما كانت البعثة نفسها هدفاً لبعض هذه الحملات ، لانها لم توصِ بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

وفي مطلع عام ١٩٤٧ قامت بريطانيا بآخر محاولة لتقريب وجهات النظر بين العرب واليهود وحمل الفريقين على التفاهم ، فوضعت اقتراحاً عرضته على الفريقين كأساس للتفاهم وهو ينص على ادخال اربعة الاف يهودي الى فلسطين شهرياً ولمدة سنتين ، وبانتهائها تنظم الهجرة وفقاً لقدرة البلاد على استيعاب المهاجرين .

ولكن الوكالة اليهودية رفضت هذا الاقتراح، بحجة انه يقيد حرية اليهود في الهجرة والاقامة في فلسطين وبالتالي انشاء دولة لهم في ارض الميعاد .

هذا ، مع العلم ان هناك بلاداً كثيرة غير فلسطين، كان يمكن للمشردين ان يستوطنوها.. وقد بذل الرئيس روزفلت جهـــداً ضخماً واهتماماً خاصاً لمساعدة مشردي اوروبا وانقاذهم من الشقاء الذي يعانون ،فاقترح ان تقوم كل دولة من دول العالم الحر ببعض واجباتها ، وتقبل اسكان عدد من اولئك المشردين في بلادهـا ، دون تمييز بين عنصر وعنصر ، أو بين دين ودين ..

وقد اعتقد الرئيس الاميركي ان بالامكان انقاذ نصف مليون مشرد على اقل تعديل ، اذا تضافرت جهود العالم الحر ، وضمنت لهؤلاء المشردين ملجأ امينا ..

وتمشياً مع هذه السياسة الانسانية ، قصد موريس ارنست ، احد المقربين الى الرئيس الاميركي ، الى لندن لمفاوضة المسؤولين البريطانيين ، اذا كانوا يوافقون على احتضان مائة او مائتي الف من اولئك المشردين .. وكان الرئيس الاميركي واثقاً كل الثقة ان استراليا وكندا وبعض بلدان اميركا الجنوبية لا تعارض قطعياً في فتح حدودها امام عدد كبير من المشردين ..

وكان مفتاح حل المشكلة في يد لندن ..!

فهل يكتب النجاح لموريس ارنست في مهمته ..؟

وعاد ارنست الى بلاده اخيراً . ينقل الى رئيسه نتيجة مساعيه في عاصمة الانكليز . وخلاصتها ان بريطانيا ساعية لتطبيق برنامج

جديد للهجرة في العالم ، وهي مستعدة لايواء ١٥٠ الف مشرد ، على ان تساهم اميركا بايواء مثل هذا العدد في اراضيها ، وقد ابدى الرئيس روزفلت للوهلة الاولى ارتياحه لهذه الخطوات ، وعلق عليها بقوله : « لقد اصبح بامكاننا انقاذ حوالي نصف مليون من هؤلاء المضطهدين المشردين ..»

ولكن بعد مضي اسبوع واحد على هذا التصريح ،زاره صديقه ارنست ثانية وتداول معه مشكلة مشردي اليهود في اوروبا واذا بروزفلت يعلن عندها : « انه اقتنع تمام الاقتناع ان ذلك البرنامج لن يحل المشكلة ، لاسيما وان قادة الصهيونية في اميركا رفضوا هذه الحلول ... »

واضاف يقول : وانهم على حق في معارضتهم ،لانهم يدركون ان فلسطين يجب ان تصبح عاجلًا او آجلا الملجأ الامين لمجتمعهم . وانهم بذلك يستطيعون ان يجمعوا الاموال الطائلة من اغنياء اميركا اليهود وغير اليهود في سبيل تحقيق هذا الهدف . . . قائلين لاولئك المتبرعين الاغنياء : ليس هناك من مكان آخر يمكن لليهودي ان يلجأ اليه سوى فلسطين . ولكن في حالة وجود برنامج عالمي لايواء مشردي العالم في ملجأ سياسي ، او في عدة ملاجىء مختلفة ، فلن يتمكن زعماء الصهيونية من استدرار عطف المتبرعين للحصول على ملايين الدولارات . .

وقد صعق موريس ارنست لهذه الاقوال يجاهر بها رئيسه وصديقه ، في الوقت الذي كان هو يسعى فيه الى تحقيق ذاك البرنامج القاضي باغاثة جميع مشردي اوروبا وفي مقدمتهم اليهود ، ومع ذلك فلم

بيأس، وراح يتابع اتصالاته بكبار المتنفذين في الاوساط اليهودية محاولاً اقناعهم بفوائد البرنامج وكسب تأييدهم بعد ان وافقت عليه كل من بريطانيا واميركا.. ولكن دون جدوى وقد كتب ارنست آنذاك يصف نتيجة اتصالاته باصدقائه المقربين من اليهود مانصه :

« لقد صعقت حقيقة لاقوال اولئك الاصدقاء عندما ذكروا لي بكل صراحة .. ان مساعيّ في سبيل نجاح برنامج ايواء جميع مشردي اوروبا هو خيانة لليهودية.. ! واني بعملي هذا ابغي القضاء على الحركة الصهيونية .. »

وكنتيجة حتمية لمعارضة الصهيونية العنيفة للمشروع ، توقفت جهود روزفلت من اجل تحقيقه ..

وفي كانون الاول ١٩٤٥ اصدر الرئيس ترومان تعليمات صريحة الى وزراتي الخارجية والحربيـــة لتقديم كل التسهيلات الممكنة لهجرة اليهود الى الولايات المتحدة ضمن قوانين الكوتا . ولكن هذه التسهيلات لم تجد نفعاً لتخفيف وطأة المشردين ، وقد أثار الشيخ الاميركي وليم ستراتون هذه القضية في الكونجرس عام ١٩٤٧ ، اذ طالب بفتح ابواب الهجرة امام المضطهدين الذين لا وطن لهم ، على ان يكون عدد الداخلين الى الولايات المتحدة مساوياً لكمية الكوتا غير المستعملة خلال سني الحرب الاخيرة . وبموجب مشروع ستراتون تقرر السماح لحوالي ٤٠٠ الف مشرد من مختلف الاديان والاجناس بدخول الولايات المتحدة .

وقد استمرت اللجنة التي تألفت لدرس هذه القضية ، مدة احد عشر يوماً في الاجتماع المتتابع ، وضعت في نهايتها تقريراً في ٦٩٣

صفحة ، كان منها احدى عشرة صفحة فقط تضمنت آراء المنظمات اليهودية ومطالبها.. وكلها كانت تبدي عدم اهتمامها وحماسها لهذا المشروع .. ولكن، عندما بحثت اللجنة الخارجية اقتراح « رايت كومبتون » الذي يوصي بانشاء دولة يهودية على غرار دول الكومنولث ، ابدت كافة المنظمات الصهيونية وحلفاؤها التأييد المطلق للاقتراح ، كما بعثت آلاف البرقيات والرسائل وكلها تشيد به وتؤيده.. هذا، مع اننا رأينا هذه المنظمات نفسها تقابل مشروع ستراتون بالفتور التام والصمت المطبق ، ولم ترتفع حينذاك سوى اصوات قليلة من اصوات المنظمات اليهودية الاميركية التي تؤيد المشروع ، ومن بينها صوت الشيخ هوبرت لهمان ، وقرار التأييد الذي صدر عن المؤسسة اليهودية الاميركية في واشنطن، هذا، بينما كانت المنظمات الصهيونية تجمع التبرعات الضخمة باسم اولئك المساكين من ابناء الانسانية المعذبة .

وقد وقف الشيخ ستراتون في اجتماع حافل في فندق شورهام بواشنطن وابدى دهشته لموقف المنظمات الصهيونية الفاتر من مشروعه ، مع انه كان من اولى واجباتها ان تعمل من اجل تطبيق قانون الهجرة ..

ومن جهة ثانية وقف رئيس المنظمة الصهيونية في اميركا يوضح هدف المنظمة ومراميها ويحث اليهود على العمل بقوله : « ان قلبي مفعم بالسرور لان حركتنا لاقت في نفوسنا جميعاً ارضاً خصبة ، ولان هدفها اصبح واضحاً .. وهو انشاء دولة يهودية .. هذا هو هدف الصهيونية الاسمى .. وانني اتساءل .. هل نحن في وضع

يائس لنخلط بين الصهيونية وقضية المشردين ..؟

ان الصهيونية ليست حركة من اجل قضية المشردين .. ولم تكن ابداً وليدة الحرب العالمية الاولى ار الثانية كما يظن البعض.. وهي وان لم يوجد يهود مشردون في اوروبا او في غيرها من العالم ستظل قضية حية .. »

وقد كتبت جريدة يهودية تصدر باللغة « ييديش » تعلق على هذا الموضوع ما نصه :

«ان مسؤولية اقفال ابواب اميركا بوجه يهود اوروبا المشردين تقع كلها عل رأس زعماء الصهيونية الذين ضحوا بمصالح ابناء ملتهم المعذبين ، في سبيل نجاح حركتهم الرامية الى ادخال هؤلاء اليهود الى ارض اسرائيل دون غيرها من بلاد العالم .. »

وقد أيد هذا الرأي الدكتور لويس فنتشتاين احد كبار علماء اليهودية في خطاب له عام ١٩٥٢ اذ قال :

« لو ان يهود اميركا بذلوا المساعي والجهود التي بذلوها في توطيد اركان الصهيونية ، لتمكنوا من ايواء جميع يهود اوروبا المشردين في بلدان العالم الجديد .. »

وبمناسبة الذكرى الثامنة لمؤتمر « ميزناح » اليهودي ، كتب اليهودي سولتز برغر صاحب جريدة نيويورك تايمس يقول :

«ليس من واجبنا ان نحصر الجهود في ادخال اليهود الى فلسطين فحسب ، بل من واجبنا ايضا ان نسعى لتوطين اولئك المشردين من اليهود وغيرهم في بلاد تستوعبهم .. »

وقد كانت كلمة برغر هذه موجهة الى اولئك الصهيونيين

الذين يضعون نصب اعينهم هدفـــاً واحداً فقط ... هو اقامة دولة يهودية في فلسطين ..

ولكن جميع هذه الاصوات المخلصة ضاعت في غمرة التيارات الوطنية الهائجة التي كان يقوم بها فئات من اليهود المتطرفين .

وبقيام دولة اسرائيل في فلسطين ، تلاشى آخر امل في امكانية تنفيذ مشروع ابواء المشردين . لان الصهيونية التي كانت تستخدم مأساة المشردين في سبيل تحقيق اهدافها ، قد حولت انظارها نحو فلسطين ، حيث وجدت تربة جديدة خصبة لنموها.

ومع ذلك ، فان اللجنة الاميركية لانقاذ المشردين وفي طليعة اعضائها المستر لاسنغ روسنوالد ، المنـــاهض الاول لسياسة الصهيونية ، حاولت ان تجدد نشاطها في سبيل انقاذ اولئك المنكودين .. ولكنها لم تستطع ان تفعل شيئاً امام تيـــار الصهيونية الجارف .

وبينما كانت ازمة فلسطين تجتاز ادق مراحلها ، قامت المنظمات اليهودية في اميركا بحركات علنية معادية لبريطانيـــا ، متناسية الخدمات الجلى التي قدمتها هذه الدولة لليهود ، وابرز هذه الخدمات اعلان وعد بلفور ، ثم الانتداب الذي جاء لمصلحة اليهودية .

وفي الكتاب الابيض الذي اصدره تشرشل عام ١٩٢٢ عن فلسطين وصف عبارة « الوطن القومي » بانها تعني حرفيـــاً : « خلق مركز ديني لليهودية في فلسطين ... » كما انه نفى صراحة وجود اية نية مبيتة لفرض الجنسية اليهودية على جميع سكان فلسطين ، او جعل فلسطين يهودية ... »

وقد وصف وايزمن اقوال تشرشل هذه ، بانها مخالفة صريحة لوعد بلفور . . . مع ان المادة السادسة من نظام الانتداب على فلسطين تفرض على بريطانيا ان تقوم بتسهيل الهجرة اليهودية الى ارض الميعاد . .

وقد أصر كتاب تشرشل الابيض على هذه الفقرة لانه قصد ان تكون الهجرة اليهودية مفيدة لوضع البلاد الاقتصادي . . دون ان تمس حقوق واوضاع السكان الاصليين .

وهذه البنود نفسها هي التي دافعت عنها اللجنة التنفيذية للمنظمات الصهيونية ، والتي على اساسها وضع الكتاب الابيض عام ١٩٢٢ ، والتي تمشت عليها فيما بعد سياسة الانتداب البريطاني

ومما يذكر ، انه عندما بدأ عدد سكان فلسطين يتزايد بشكل هائل، قام السكان العرب يطالبون الحكومة البريطانية بالاستقلال الناجز ، ووقف الهجرة اليهودية . . فكان ان تتابعت عدة لجان ملكية على درس وضع فلسطين والتحقيق فيه ، ولكن جميع هذه اللجان لاقت الفشل الذريع ، ولم تتمكن من ايجاد حل للتقسيم يرضى عنه الطرفان العرب واليهود ، مما ارغم بريطانيا ، عندما تحرج الوضع الداخلي بين الفريقين المتنازعين عام ١٩٣٧ ان توفد بعثة «بيل الملكية» الى فلسطين لبحث النزاع . وقد اوصت اللجنة بتقسيم البلاد الى ثلاثة اقسام : قسم للعرب ، وآخر لليهود ، بينما تركت القدس وضواحيها منطقة حرة تبقى تحت الانتداب البريطاني الدائم ، ولكن العرب واليهود رفضوا هذه التوصيات

من اساسها .

وفي عام ١٩٣٩ ، وبعد فشل لجنة « بيل الملكية » اصدرت الحكومة البريطانية كتاباً ابيض آخر ، وهو لا يخرج في موضوعه عن سياسة بريطانيا الاولى ، اذ انه اوصى بانشاء دولة متحـــدة في فلسطين يشترك في ادارتها العرب واليهود معاً ، ويحمل الفريقان جنسية واحدة هي الجنسية الفلسطينية .. تماماً كما يحمل الانكليزي والاسكتلندي الجنسية البريطانية .

ومع ان الحكومة البريطانية رأت ان الضرورة تدعوهـــا للعمل من اجل تحديد هجرة اليهود الى فلسطين ، تنفيذاً لوعودها الى المسؤولين العرب ، فقد سمحت لـ٧٥ الف يهودي بالدخول الى الارض المقدسة في خلال خمسة اعوام . ولكن ، ما ان بدأت حملة الاضطهاد والتعذيب النازية ضد اليهود في بولونيا والمانيا وغيرها من بلدان اوروبا الشرقية ، حتى سمحت بريطانيا الى آلاف اليهود ، بالدخول الى فلسطين تحت ستـــار حمايتهم من البربرية النازية وايوائهم في ملجأ امين ... كما ان ابواب بريطانيا نفسها انفتحت على مصراعيهـــا لاستقبال عشرة الاف يهودي من المشردين ، مقدمة لهم اللباس والمسكن والمأوى ، في حين كان الشعب البريطاني نفسه يقاسي آلام الحرمان والحاجة .

واذا شئنا ان نعدد الخدمات التي قدمتها بريطانيا الى اليهود ، لوجدناها كثيرة وواضحة ...

ففي خلال الانتداب البريطاني على فلسطين ، سمحت السلطات المنتدبة للمؤسسات اليهودية بادارة شؤونها بحرية مطلقة ، كما سمحت

بانشاء الوكالة اليهودية ، بل انها اعترفت بها كمؤسسة رسمية تنطق باسم يهود فلسطين وكذلك سهلت الهجرة اليهودية بجميع الطرق والوسائل ، حتى بلغ عدد المهاجرين اليهود الذين دخلوا فلسطين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية حوالي نصف مليون ؛ وعلى الرغم من احتجاجات العرب المتواصلة على هذه السياسة البريطانية ، فقد ارتفعت النسبة المئوية لليهود في فلسطين من ١١ بالمائة في عام ١٩٢٢ الى ٣٢ بالمائة في عام ١٩٤٥ .

واكثر من ذلك ...

فقد زودت بريطانيا يهود فلسطين بالأسلحة والاعتدة الحربية، ليتسنى لهم الدفاع عن انفسهم في حال وصول قوات رومل الى فلسطين، ولكن الجيش الثامن البريطاني بقيادة مونتغمري تمكن من دحر قوات المانيا النازية، وأنقذ بذلك يهود فلسطين من موت محقق كان ينتظرهم .. كما منحهم فرصة للتسلح ..

وهكذا راح قادة الصهيونية يجددون الطلب بانشاء الدولة اليهودية .. ولم يكن باستطاعة بريطانيا ان تذعن سريعاً لهذه المطالب ، فأخذت تحاور وتماطل وهي تعبر عن ترحيبها بقبول أية تسوية من شأنها ان تنال موافقة العرب واليهود على السواء ...

وكان من جراء هذا الصراع بين الهيئات اليهودية وبين سلطات الانتداب ، ان راحت هذه الهيئات تسهل هجرة اليهود غير الشرعية .. ومن ثم لجأت الى اعمال التخريب ..

وهكذا انقلبت الارض المقدسة بعد الحرب العالمية الثانية الى معسكر مسلح ...

ولم تقف الهيئة العربية العليا موقف المتفرج فراحت هي الأخرى تجد في شراء الأسلحة والأعتدة لتزود بها رجالها من المتطوعين العرب.

ونشطت عدة منظمات يهودية للتسلح ايضاً، وفي طليعتها « الهاغانا » المنظمة العسكرية شبه الرسمية، التي كانت تشرف على تمويلها وتجهيزها الوكالة اليهودية، كما كان هناك ايضاً، المنظمة الارهابية المعروفة باسم « ارغون زفاي ليومي ». وهذه المنظمة الارهابية هي التي راحت منذ عام ١٩٤٣ تقوم باعمال التخريب في مؤسسات الحكومة ومنشآتها، وقد انشق عنها فيما بعد منظمة اخرى عرفت باسم « شترن ».

وقد قامت هذه المنظمة الارهابية الاخيرة « شترن » في خلال سني الحرب الاخيرة، باعمال في غاية الجرأة والوحشية منها اغتيال وزير الدولة البريطاني في الشرق الاوسط لورد موين في احد شوارع القاهرة في شهر تشرين الثاني عام ١٩٤٤.

وقد كتب وايزمن بعد هذه الحادثة المؤسفة الى تشرشل يقول: « يمكنني ان اؤكد لكم ان اليهودية في فلسطين ستتخذ اقسى الاجراءات لقطع دابر هذا الشر من جذوره. »

وبعد مضي سنتين على هذا التأكيد القاطع، طلبت اللجنة الاميركية ـ البريطانية، التي زارت فلسطين في ذاك الحين، من الوكالة اليهودية بذل الجهود الجدية ومساعدة السلطات المنتدبة لفلسطين على وقف الاعمال الارهابية والهجرة غير الشرعية، في سبيل حفظ السلام والامن في تلك الربوع.

وفي هذه الاثناء.. انشئت في اوروبا حركة منظمة، راحت

المصادر الصهيونية تمدها بالمال وكافة المساعدات ، وكان الهدف منها انشاء طريق سري الى فلسطين لنقل المهاجرين اليهود غير الشرعيين والاسلحة والاعتدة . وقد زخرت بعض موانىء البحر الابيض المتوسط بالاف اليهود القادمين من شتى اقطار الدنيا، حيث اخذت المنظمة اليهودية في تهريبهم بواسطة مراكب بخارية وشراعية الى ارض الميعاد.. وقد وقف معظم الاميركيين ينظرون الى عمليات التهريب وكفاح اللاجئين اليهود من اجل الحصول على مأوى لهم نظرة شفقة وتأييد . بل انهم اثاروها حملة شعواء على بريطانيا في طول الولايات المتحدة وعرضها، عندما قررت الحكومة البريطانية وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين وقفاً تاماً ..

واستغلت الوكالة اليهودية الاميركية هذه الظروف المؤاتيه ، كيما تضغط على الرأي العام الاميركي وعلى رجال السياسة لتكسبهم في صفها .. فراحت الصحف اليهودية تصف حركات اليهود في فلسطين بالتحرر ، وتشبهها بتلك الحركات التحريرية التي قام بها الايرلنديون في الماضي من اجل الحرية ..

وهكذا لم يقابل الرأي العام الاميركي اعمال اليهود الارهابية والتخريبية في الارض المقدسة ، كنسف فندق الملك داود مثلاً ، او شنق الجاويشين البريطانيين من قبل الارهابيين اليهود بالاستنكار او الاستهجان .

وقد علق ارنست بيفن ، وكان وزيراً للخارجية البريطانية في ذاك الحين، في اجتماع خاص لحزب العمال على موقف الولايات المتحدة فقال: ان الولايات المتحدة تحاول الضغط على بريطانيا لادخال عدد

آخر من اليهود الى فلسطين ..

هذا مع العلم ان اميركا لم توافق على ادخال عدد مماثل لهؤلاء المهاجرين الى بلادها ..

وما ان اطل عام ١٩٤٧ ،حتى كانت الحالة في فلسطين قد بلغت ذروتها من حيث التأزم ، وكانت تستدعي تدخلا دولياً عاجلاً لحلها .. فان الصهيونيين كانوا يصرون بعناد على ان يكون اليهود الاكثرية في فلسطين ليتمكنوا من انشاء حكومة يهودية على غرار نظام الكومنولث ..

والسلطة المنتدبة كانت تبذل كل ما في وسعها لفرض سياستها المعينة.

اما العرب فكانوا يحاربون الانكليز واليهود معاً ، ويطالبون بقيام دولة مستقلة في الارض المقدسة .

هذا ، وبينما الحالة بفلسطين في غليان وتوتر .. كان يقوم في الولايات المتحدة عدة منظمات اميركية تساعد الهجرة اليهودية .. ومن هذه المنظمات ، الرابطة الاميركية لفلسطين الحرة ، واللجنة العبرية للتحرر الوطني ، واللجنة السياسية العاملة لفلسطين .. وهذه المنظمات كلها كانت تجمع الاموال والتبرعات من الاميركيين لتعزيز اعمال اليهود الارهابية في الارض المقدسة .. ففي نيويورك وقف الشيخ جوزف بالدوين ، وهو ينتمي الى اعرق عائلات المدينة ، والمستشار السياسي لمنظمة الارغون ، يدافع عن المنظمة الارهابية ويؤيد سياسة زعيمها « مناحم بيغن » .

وفي غمرة هذه الفوضى الشاملة ، قررت بريطانيا نفض يدها من فلسطين .. خاصة بعد ان فشلت جميع المحاولات والمشاريع التي عرضتها كحل للمشكلة .. وكان آخر الحلول ، ذلك

لحل المعروف بمشروع « بيفن » والرامي الى انشاء نظـــام كنتونات » بفلسطين من العرب واليهود لمدة خمس سنوات ، والسماح لمائـــة الف لاجيء بالدخول الى البلاد .

وقد اعلنت الوكالة اليهودية آنذاك انها لن تتعاون بعد الآن مع السلطة المنتدبة ضد اعمال الارهابيين اليهود ..

وحيال ذلك، رأت بريطانيا انلا مخرج لها من هذه الورطة ، الا بعرض القضية على هيئة الامم المتحدة ..

وهكذا دعت الامانة العامة للامم المتحدة ، الجمعية العمومية لبحث قضية فلسطين واقرار حل لها .

وعند عرض القضية عـــلى بساط البحث في مجلس العموم البريطاني ، حاول بيفن بعبارات غامضة ان يبرر فشل حكومته في حل القضية الفلسطينية ، متهماً الساسة الاميركيين بتعقيـــد المشكلة بدلا من بذل الجهود لحلها ...

وقد تجاوز بيفن حدود التقاليد الدبلوماسية عندما غمز من طرف خفي الى مسؤولية البيت الابيض اذ قال :

« ... وخرجت في اليوم الاول من انعقاد مؤتمر السلم في باريس ، وانا مطمئن الى اننا تمكنا من تذليل العقبات ... وفي منتصف ليل اليوم التالي تلقيت مخابرة هاتفية من رئيس الحكومة البريطانية يعلمني ان الرئيس الاميركي ينوي اصدار قرار آخر بصدد المائة الف مهاجر ... (وكان يعني قرار ترومان بالسماح لمائة الف يهودي بدخول فلسطين) كان مؤتمر السلم لا يزال منعقداً ، ولذلك رجوت بيرنز ناظر خارجية اميركا ان يتدخل لدى الرئيس

ترومان كيما يؤجل صدور ذلك القرار ، الذي من شأنه عرقلة مباحثات المؤتمر ..

وكان جواب ناظر الخارجية الاميركية انه اذا لم يعلن ترومان موافقته على ادخال المائة الف يهودي .. فان مزاحمه في الانتخابات ديوي سيسبقه الى اعلان موافقته وتأييده لادخال هذا العدد من المهاجرين ، فيكسب بذلك اصوات يهود اميركا في معركة انتخابات الرئاسة .. »

وكتب جيمس ريستون في صحيفة « نيويورك تايمس » في نفس الموضوع يقول : ان عدداً كبيراً من مستشاري الرئيس ترومان عارضوا صدور مثل ذلك القرار ، نظراً لتوقع عقد هدنة بين بريطانيا والصهيونيين ...

بل ان اتلي رئيس الحكومة البريطانية اتصل بنفسه بالرئيس ترومان وطلب منه تأجيل اصدار ذلك القرار ، ولكن ترومان لم يعر جميع هذه المحاولات ادنى اهتمام .

وعرف فيما بعد ان ميد وليهمان المرشحين الديمقراطيين لمنصبي حاكم نيويورك وشيخها قد ساعدا على اصدار ذلك القرار .

وفي السادس من شهر تشرين الاول اعلن ديوي مرشح الحزب الجمهوري للرئاسة ، بان على بريطانيا ان لا توافق على ادخال مائة الف مهاجر فقط .. وانما عليها ان توافق على ادخال مئات الالوف من اليهود المشردين ..

كذلك اشترك الشيخ تافت في هذه المهزلة واعلن تأييده للهجرة اليهودية الحرة الى فلسطين .. وهذه التصريحات كلها كانت

من جملة الدعايات التي استغلهـــا الحزبان الديمقراطي والجمهوري لكسب معركة الرئاسة .

ولا يمكن الجزم بان المباحثات بين الانكليز والصهيونيين كان يمكنها ان تكلل بالنجاح ، لو لم تتدخل السياسة الاميركيـــة وتعمل على اخفاق المباحثات .

ويجدر الاشارة هنا وبصفة خاصة ، الى ان الدعاية العربيـــة كانت ضعيفة جداً ، بالنسبة الى الدعاية الصهيونية التي كانت تسيطر سيطرة تامة على جميع وسائل الدعاية .

ولقد كانت العلاقات بين اميركا والعالم الاسلامي في ذاك الحين على أحسن حال ، وكان من واجب السياسة الاميركيين ان يحافظوا على هذه العلاقة الودية المتينة ، ولكنهم ضربوا بها عرض الحائط في اللحظة الحاسمة من معركة انتخابات الرئاسة ، لا لشيء .. الا لأن اصوات العرب في الولايات المتحدة ضئيلة ..

وفي تلك الاثناء أعلنت بريطانيا عن عزمها في حفظ النظـام والأمن في الارض المقدسة وبينما تبتّ هيئة الامم في القضية بعد ان وضع مصيرها بين يدي الهيئة .

وتتابعت الحوادث ...

واحتلت انباء الاصطدامات التي وقعت بين المنظمات الصهيونية التي تتولى تهريب المهاجرين وبين القوات البريطانيـة ، الصفحات الاولى من الصحف الاميركية ..

وقد حدث عندما صادرت السلطات البريطانية باخرة «ابريل» اليهودية التي كانت تحمل مئات اللاجئين اليهود ، ان قام الارهابيون

الصهيونيون بالرد على هـــذا العمل ، فنسفوا أنابيب بترول نفط العراق ..

وكذلك أعلنت منظمة أرغون الارهابية الحرب على الانتداب عندما أعدم البريطانيون « دوف غروفر » وثلاثة من الارهابيين بعد محاكمتهم بتهمة مهاجمة مركز للبوليس الانكليزي . كما ان منظمة « شترن » وعدت بالثأر لهم .

وتتالت حوادث الاصطدامات الدامية في الارض المقدسة ..

ومرة أخرى ارتفعت الاصوات وتعددت التصريحات تبدي عطفها على قضية المشردين وما يقاسونه من بؤس وشقاء ..

ولكن ، لم تبذل ابداً جهود جدية للسماح لهؤلاء البـــائسين المشردين بالاستيطان في اميركا مثلاً او في اي بلد آخر ..

وكان من نتيجة ذلك ، ان راح رجل الشارع في اميركا يتابع القضية بشيء كثير من الاهتمام ، وينتقد سياسة بريطانيا .. وكانت غالبية الاميركيين تطالب علانية بضرورة فتـــح ابواب الهجرة اليهودية الى الارض المقدسة على مصراعيها ..

فقد دعت السيدة اليانور روزفلت ، منظمة سيـــدات يهود اميركا ، الى مأدبة عشاء ، وكانت الغاية منها حمـــل الكونجرس الاميركي على اتخاذ قرارات حاسمة بصدد القضية الفلسطينية .

وفي كل صباح كان الرجل الاميركي يطالع في صفحات جرائده الاولى العناوين التالية :

مطاليب المؤتمر اليهودي .

ليهمان يكرر مطالبته بضرورة فتح فلسطين لليهود .

كما ظهرت عناوين اخرى « تهويشية » هدفها التأثير على الرأي العام العالمي .. لا سيما على الساسة البريطانيين ..

فقد اتسعت الدعاية الصهيونية حتى شملت السياسة الدولية.. ومن اطرف التهديدات التي وجهتها الدعاية الصهيونية التهديد التالي الذي نشرته احدى صحفها :

« لن يكون هناك مساعدات .. لتحقيق السياسة البريطانية في تركيا واليونان .. الا اذا اتبعت بريطانيا خطة الولايات المتحدة بصدد قضية فلسطين ... »

ويجدر بالذكر هنا ان وزارتي الخارجية والحربية الاميركيتين حذرتا البيت الابيض والكونجرس من اتباع تلك السياسة الخاطئة .. وكانتا محقتين في تحذيرها ، لان مثل تلك السياسة قد تودي بنفوذ اميركا في بقعة استراتيجية هامة من العالم . ولكن الساسة الاميركيين لم يأبهوا كثيراً لتلك الحقيقة وضحوا بها من اجل سياسة حزبية تحقق مآربهم الشخصية ..

وهذا ما حدث بالفعل ..

فقد كانت القضية الفلسطينية في احرج ازماتها.. عندما بلغت حملة الانتخابات ذروتها بين الحزبين المتنافسين .. فادرك كل منهما ان حزبه لن يظفر باصوات الناخبين اليهود الاميركيين الا اذا تعهد بتأييد اقامة دولة اسرائيل في ارض فلسطين ..

اما قادة الصهيونية فقد قاموا بآخر محاولة لجس نبض زعماء الحزب الديمقراطي ، ومدى تأثرهم بالتصريحات التي كان قد ادلى بها رجال وزارتي الخارجية والحربية .. اذ كان همهم الاوحد ان

يتـأكدوا من ان الساسة الاميركيين مـــا زالوا تحت سيطرة الاصوات اليهودية .

ولعلها المرة الاولى في التاريخ .. ان معركة حاسمة تكسب بوسائل الدعاية ، وكان الفضل فيهـا هو للصهيونيين انفسهم الذين علقوا مصير مستقبلهم على نتيجة تلك المعركة الانتخابية ...

ويجب الاعتراف هنا ان تلك المحاولة لم تكن في مصلحة اليهود غير الصهيونيين ، الذين اتاحوا للصهيونية ، بموقفهم الحيادي ، ان تجازف بمستقبل اليهودية الاميركية في غمرة التيارات السياسية العالمية ..

الفصل الثالث

التقسيم غير المقدس...

*

... وفي ٢٨ نيسان ١٩٤٧ عقـــدت الجمعية العمومية جلسة خاصة في نيويورك لبحث قضية فلسطين .. وقد اقتصرت ابحاث هذه الجلسة على عرض مختصر للقضية من مختلف وجوهها .

وعندما بوشر باتخاذ الاجراءات اللازمة تمهيداً لعرض القضية في اجتماع الجمعية العمومية ، طلبت الوكالة اليهودية السماح لها بالحضور لعرض وجهة نظر يهود فلسطين ، ولكن طلبها رفض في بادىء الامر ، وتولى كل من مجلس الامن واللجنة السياسية درس مسألة السماح للوكالة اليهودية والهيئة العربية العليا بحضور اجتماعات اللجنة وقررا ان تقـدم كل منظمة ترغب في عرض مطالبها مستندات تثبت انها تمثل فئـة كبيرة من سكان فلسطين ، كما تقرر تأليف لجنة للتحقيق بالقضية الفلسطينية ، على ان ترفع تقريرها الى اللجنة الرسمية الثانية في الجمعية العمومية في مدة اقصاها شهر ايلول ١٩٤٧.

وهنا تقدمت روسيا باقتراح يقضي باشراك ممثلي الدول الخمس الكبرى في لجنة التحقيق هذه ... ولكن اقتراحها رفض ...

وكانت حجة الولايات المتحدة ان وجود الدول الكبرى في هذه اللجنة قد يؤثر في وضع تقرير متحيز .

وهكذا تألفت لجنة التحقيق من احدى عشرة دولة صغرى هي : استراليا ، كندا ، تشكوسلوفاكيا ، غواتيمالا ، الهند ، ايران ، هولندا ، بيرو ، السويد ، الاورغواي ، يوغوسلافيا ، كما عين القاضي السويدي اميل ساند ستروم رئيساً لها .

ومنذ الساعة الاولى ، التي اعلنت فيها اسماء اعضاء اللجنة ، بدأت محاولات الصهيونية للضغط والتأثير على الاعضاء ... كما راحت المنظمات والمؤسسات اليهودية تبذل الجهود والمساعي خلال اجتماعات الجمعية العمومية لكسب التأييد والمساعدة لقضية الصهيونية .

فوجه رئيس حاخامي فلسطين بياناً الى هيئة الامم المتحدة ، ناشدها فيه ان يأتي قرارها النهائي عن فلسطين منسجماً ومصلحة اليهود .. كما تضافرت جهود المؤسسات والهيئات اليهودية في الولايات المتحدة : كالمؤتمر اليهودي الاميركي ، واللجنة اليهودية لفلسطين ، والسيدة اليانور روزفلت عقيلة الرئيس السابق روزفلت ، والمجلس الوطني اليهودي ، واللجنة المسيحية الاميركية لفلسطين .. تضافرت جهودها كلها في صف واحد لمساندة المطالب الصهيونية ، واصدر كل منها بيانات صريحة في هذا المعنى .

حتى المؤسسات الاقتصادية اليهودية اشتركت في هذا الصراع المحموم .. فاذاعت الشركة اليهودية الاقتصادية ، وهي شركة يهودية خاصة ، نشرة قالت فيها ان صحراء النقب يمكن

الاستفادة منها واستيطانها بعد تزويدها بمياه الري في فترة لا تزيد عن السنة الواحدة .

وقالت صحيفة « الشعب » التي يشرف عليها متمولون يهود بان العرب كانوا من انصار المحور خلال الحرب وطالبت الجمعية العمومية بشطر فلسطين الى قسمين مستقلين .

كما ارتفع صوت هنري دالس في صحيفته « نيوريببليك » داعياً الاميركيين الى بذل الاموال لمساعدة الارهابيين في فلسطين .

اما لجنة التحقيق فلم يمض وقت قصير على وصولها الى فلسطين ، حتى وقعت حادثة الباخرة « اكسودس » .. فطغت اخبارها على كل الاخبار ...

وحادثة الاكسودس في منتهى البساطة ...

كانت هذه الباخرة تنقل عدداً من المهاجرين اليهود غير الشرعيين الى فلسطين ، فاعترضتها قوة بريطانية مسلحة ، مما أدى الى وقوع الاصطدام بين المهربين اليهود وجنود الامبراطورية البريطانية . وبعد معركة دامية استمرت حوالي ثلاث ساعات وقتل خلالها ثلاثة اشخاص وجرح ٢١٧ شخصاً .. نقل الجنود البريطانيون المهاجرين اليهود الى ثلاث سفن انزلتهم في جزيرة قبرص تمهيداً لاعادتهم الى بلادهم .. هذه هي الحادثة كما وقعت ..

ولكن الدعاية الصهيونية ابت ان تدع المناسبة تمر دون ان تستفيد منها .. فالتقطت افلاماً سينمائية لاولئك المهاجرين المحشودين في قبرص .. ولم تترك داراً من دور السينما في اميركا الا وعرضت فيها صور اولئك التعساء المشردين ..!

ثم ، ان زعماء الصهيونية رفضوا ما عرضته الحكومة الفرنسية من ايجاد الملجأ الامين لاولئك المهاجرين . وتابعوا حملة دعايتهم ، بما اضطر الحكومة البريطانية اخيراً الى نقل المهاجرين الى مرفأ هامبورغ في المانيا ..

اما عن الأثر الذي تركته هذه الحادثة ..

فقد ثار الرأي العام الصهيوني والاميركي واندفع يصب غضب نقمته على بريطانيا، حتى ان بعض القنصليات البريطانية في نيويورك وغيرها من مدن اميركا ، رشقت بالحجارة ، كما كتب على جدرانها العبارات العدائية ..

واكثر من ذلك .. فقد انتقم الصهيونيون من البريطانيين بقتل جنديين انكليزيين ومثلوا بجثتيهما بصورة وحشية بشعة ثم علقوا الجثتين في غابه قرب مستعمرة « نتانيا » .

وفيما كانت الصهيونية ماضية في غيهـــا ، وبينما كان اليهود يتعامون عن هذه الاعمال الارهابية ، ارتفع صوت يهودي واحد يندد بها ، وكان له دوي الصاعقة .. لقد تحرك اخيراً ضمير حي من الضمائر اليهودية الصحيحة هو ضمير الدكتور يهودا ماغنز ، رئيس الجامعة العبرية في فلسطين ـ والمعروف عن الدكتور ماغنز انه لم يؤيد ابداً فكرة فرض سيطرة يهودية سياسية على فلسطين ، بل كان يسعى الى ايجاد حل عادل لهذه المشكلة ، وكان مما اقترحه اقامة دولة متحدة ، من شأنها عدم تجزئة فلسطين ، وبالتالي تحقق رغبات الوطنيين من الطرفين .. كما انه كان يدعو في كل مناسبة الى التفاهم والتعاون بين العرب واليهود .

لقد وقف الدكتور ماغنز خطيباً في الذكرى الواحـــدة

والثلاثين على انشاء الجامعة وقال :

« ان الصهيونية تحاول ان تضع الشعب اليهودي كله تحت نفوذها بالقوة والعنف ... ان الحظ لم يسعدني بعد ، لان اسمع من افواه معارضي الصهيونية رأيهم الصريح باولئك الاشخاص الذين نصبوا انفسهم مدافعين عنهم ...

.. انهم قتلة ...

انهم عصابة من الرجال والنساء .

وجميـــع يهود اميركا يشاركون هؤلاء بالجرم ، حتى اولئك الذين يجهرون بمعارضتهم لاعمال القيادة الوثنيـــة .. لان واجبنا يقضينا بان لا نظل مكتوفي الايدي..

ونحن اذا قرعنا ناقوس الخطر .. فذلك لاننا حريصون عـلى المحافظة على تقاليدنا الدينية الصحيحة..»

وقد سافر الدكتور ماغنز بعد مدة قصيرة من القاء خطابه الى الولايات المتحدة ، وقرر ان لا يعود ثانية الى القدس ، المدينة التي احبها من صميم فؤاده.. وقد جاء قراره هذا نزولاً عند الحـــاح اسرته واصدقائه الذين حذروه من العودة لان الارهابيين عازمون على الفتك به .

واخيراً مات الدكتور ماغنز بعيداً عن البلاد التي احبها كثيراً وعمل كثيراً من اجل نموها ورفاهيتها ..

وان كان الدكتور ماغنز قد مات.. فان اقواله الصريحـــة الصادقة ستعيش الى الابد .. فهو الذي قال :

« لقد كنا نعتقد ان الصهيونية ستعمل على تخفيف الحملة ضـد

السامية في العالم، ولكننا رأينا العكس تماماً . فقد ازداد اعداؤها .»

***

والحقيقة .. ان انكلترا وهي لم تكن تعرف في السابق اي تفرقة عنصرية ضد اليهودية البريطانية ، بدأت تنشأ لديها ، بعد اعمال الصهيونية الارهابية ، فكرة التعصب ضد كل ما هو يهودي لا سيما بعد حوادث اغتيال الجنود البريطانيين في فلسطين والتمثيل بجثثهم .. حتى اضطر البوليس الانكليزي في قلب بريطانيا الى حراسة المعابد اليهودية خشية اعتداء الجمهور عليها .. ولعل ابلغ دليل على هذا العداء البريطاني الجديد ضد اليهودية ، ان ثلاثة من البوليس الانكليزي قتلوا في حادث القاء قنبلة على احد المعابد اليهودية .

وقد كتبت الصحيفة الاميركية « كوفنتري » في شهر ايار ١٩٤٧ تواجه الوقائع بصراحة فقالت :

« ان الرأي العام البريطاني قد ابدى سخطه ونقمته ليس فقط على يهود فلسطين ، بل على اليهود البريطانيين ، لانهم — يهود بريطانيا — ايدوا ولو بالعاطفة اعمال اولئك الارهابيين الصهيونيين في اغتيال الجنود البريطانيين والتمثيل بجثثهم . ولهذا كان من الطبيعي ان تتضاعف الكراهية والنقمة ضد اليهود ، وتكون خطراً داهماً يتهدد جميع يهود بريطانيا .. ان لم يبادر العقلاء الى ايجاد الحل .. »

وفي مثل هذا الجو العاصف المحموم ، باشرت لجنة التحقيق لهيئة الامم المتحدة دراستها للقضية الفلسطينية في ارض فلسطين نفسها ، وفي ٣١ آب وضعت تقريرها عن نتائج هذه الدراسة ورفعته الى اللجنة الثانية للجمعية العمومية .

ولكن ماذا تضمن التقرير ...؟

فبعد ان عقدت اللجنة حوالي ستة عشر اجتماعاً عاماً ، و٣٦ اجتماعاً خاصاً في ليك سكسس والقدس وبيروت وجنيف واستمعت الى عشرات البيانات الشفهية ، ومثلها من البيانات والوثائق الخطية من الحكومات ومن المنظمات السياسية والهيئات الدينية ، وبعد ان توسعت في الدراسة والبحث طوال ثلاثة اشهر ، لم تكن الحلول التي اوصت بها اللجنة في تقريرها اجماعية ...!

فقد اقترحت اكثرية الاعضاء (كندا ، تشيكوسلوفاكيا غواتيمالا ، هولندا ، بيرو ، السويد ، الاورغواي) تقسيم فلسطين . واقترحت الأقلية المؤلفة من الهند وايران ويوغوسلافيا اقامة دولة واحدة على نظام فيدرالي ، بينما لم تؤيد استراليا احد الاقتراحين ، وبرر ممثلها الدكتور جون هود هذا الموقف بقوله : ان من واجب لجنة التحقيق عدم تقديم اي اقتراح من شأنه ان يؤثر على قرار الجمعية العمومية . واضاف : ان هذا المبدأ قد خالفه كلا الفريقين في اللجنة ..

وفي الثالث من شهر ايلول ١٩٤٧ ، كلفت هيئة الأمم لجنة فرعية لدراسة الاقتراحين المقدمين من الأكثرية والأقلية ، وقد تشكلت هذه اللجنة الجديدة من جميع اعضاء هيئة الأمم وانتخبت وزير خارجية استراليا رئيساً لها .

وعقدت اللجنة الجديدة ٣٤ اجتماعاً ما بين ٢٥ ايلول و٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، استمعت خلالها للمرة الثانية الى ممثلي الوكالة اليهودية والهيئة العربية العليا .

وقد تولى مهمة الدفاع عن اقتراح الأكثرية القاضي بالتقسيم ، غراسيا غرانادوس مندوب غواتيمالا وورود ريكز فابرغات مندوب الأورغواي ، وقد كان دفاع هذا الاخير واندفاعه في تأييد وجهة نظر الصهيونيين موضع دهشة وتساؤل في اروقة هيئة الامم .!

وقد كتب احدهما فيما بعد وهو مندوب غواتيمالا غرانادوس كتاباً بعنوان « مولد اسرائيل .. المأساة كما شاهدتها » وقد نشر هذا الكتاب ووزع بواسطة الصهيونيين لانه دافع بحرارة عن قضيتهم ؛ كما ان زميله فابرغات مندوب الاورغواي ألقى عدة محاضرات لتأييد القضية الصهيونية .

ولم ينس الصهيونيون جميل هذين المندوبين ، فاطلقا اسميهما على شارعين من شوارع اسرائيل ، اعترافاً بفضلهما على القضية الصهيونية .

اما موقف بريطانيا من القضية ، فقد أوضحه مندوبها ارثر كريتس جونس اذ قال ان دولته لا تقر فرض اي مشروع جديد تضعه هيئة الامم ما لم ينل موافقة الطرفين العرب واليهود .. خاصة بعد ان تكبدت بريطانيا الخسائر الجسيمة في الارواح والاموال ... وهكذا القت بريطانيا مسؤولية كبرى على عاتق اعضاء هيئة الامم .. وكان على هؤلاء الاعضاء ان يجدوا الحل العادل الذي يقبل به الطرفان المتنازعان ، ولا يعكر السلام في تلك البقعة من العالم .

وشعر اعضاء هيئة الامم منذ البدء ان سلطة الهيئة محدودة لا يمكنها ان تفرض اي توصية قد تقررها ، لا سيما اذا ما قررت

القوات البريطانية الجلاء عن الاراضي المقدسة ... وهذا ، وقف مندوب الولايات المتحدة هرتسل جونسون يقترح انشاء جيش من المتطوعين لاستخدامه في فرض قرار التقسيم ، ولكن اقتراحه لم يلق تأييداً في اوساط هيئة الامم وقام السيد محمد ظفرالله خان وزير خارجية الباكستان ومندوبها في هيئة الامم يدافع بحماسة وحرارة عن وجهة النظر العربية ومعارضتها للتقسيم ، وأكد ان من حق عرب فلسطين البالغ عددهم مليون و ٣٠٠ الف عربي ان يختاروا نظام الحكم الذي يريدون ، وان هذا الحق قد ضمنته شرعة هيئة الامم المتحدة ، وكل ما يمكن لهيئة الامم ان تقوم به « ان تضمن لسكان فلسطين اليهود البالغ عددهم ٦٢٥ الفاً ، العيش بحرية ضمن الدولة الجديدة ، وممارسة عاداتهم الاجتماعية ، وطقوسهم الدينية بكل حرية .. »

ولكن مندوبي هيئة الامم ، المؤيدين للتقسيم ، لم يعبأوا بهذا الحل الذي اقترحه وزير خارجية الباكستان ، فقد كانوا تحت تأثير تقرير الاكثرية ، وحجج الوكالة اليهودية ، ولاسيما الدعاية الواسعة التي قام بها الحاخام سلفر ، والبروفسور وايزمن ..

ولا يخفى ان الاعتبارات الدولية كان لها تأثيرها ايضاً ، وخاصة الوعود المقطوعة لليهود باقامة الوطن القومي .

وعندما فكروا بتنفيذ مشروع التقسيم ، وجدوا ان هناك صعوبة هامة تعترضه ، هي ايجاد اتحاد اقتصادي بين الدولة اليهودية والدول العربية المحيطة بها ، اذ ان تقرير الاكثرية اصر على هذه النقطة بالذات ، وأكد ان مثل هذا الاتحاد ضروري جداً . هذا ،

مع العلم ان التوصية التي تبنتها الجمعية العمومية في تشرين الاول ١٩٤٧ لم تقتصر على التقسيم فحسب ، بل شملت انشاء اتحاد اقتصادي ايضاً ..

حتى موسى شرتوك نفسه ، عضو الوكالة اليهودية البارز ، اصر في بيانه في هيئة الامم على « ضرورة انشاء اوثق الروابط الاقتصادية بين الدول المجاورة ... »

ولكن هيئة الامم عندما اقرت التقسيم ، تجاهلت هذه النقطة الحساسة اللازمة لنجاح قرار التقسيم ..

وانبثق عن اللجنة الخاصة التي اوصت بالتقسيم ، لجنتان فرعيتان تفرغتا لدراسة وجهات نظر كل فريق ومطالبه على حدة .. ولم يظهر اي اثر لنشاط اللجنة الفرعية التي اطلقوا عليها اسم لجنة الوساطة ، الا رسالة وجهها رئيس اللجنة الى الامير فيصل وزير خارجية المملكة السعودية ، يقترح فيها عقد اجتماع بين سموه وبين وزير الدولة الاميركي جورج مارشال ؛ وعلى الرغم من ان الامير فيصل وافق على الاجتماع ، ولكنه لم يتم ، لتلكؤ المسؤولين في واشنطن وتهربهم ..

*

وطبقاً لمشروع التقسيم ، تركت مدينة القدس ، مدينة دولية تحت اشراف هيئة الامم . والمادة الوحيدة التي اعترضت عليها الوكالة اليهودية وطالبت بتعديلها هي التي تنص : « بان يكون حاكم المدينة المقدسة لا عربياً ولا يهودياً ... »

فكلمة « يهودي » تعني بوضوح كل يهودي الجنسية والمعتقد .. بينما كلمة « عربي » لا تشمل المسلم غير العربي . وبموجب هذه المادة

يمكن للمسلم غير العربي ان يصبح حاكماً دولياً للقدس .

واخيراً ... وفي تشرين الثاني ١٩٤٧ ، انتهت اللجنة الخاصة من الاستماع الى جميع اصحاب العلاقة ، فباشرت بطرح القضية على التصويت ، وكان ان طرحت اولا المشاريع التي تضمنت وجهة نظر العرب ، فرُفضت باكثرية ٢٨ صوتا ، بينما ايدتها ١٨ دولة ، وامتنعت ١١ دولة عن التصويت ، وكان بين المشاريع اقتراح يقضي باحالة ست مسائل تتعلق بوعد بلفور وتنفيذ صك الانتداب على محكمة العدل الدولية لتبت فيها .

كما ان اللجنة رفضت ايضا باكثرية ٢١ صوتا ضد ٢٠ ، اقتراحا ينص على ان من حق الامم المتحدة ان تفرض او توصي بفرض قرار التقسيم ، حتى ولو عارضته غالبية سكان فلسطين . وفي الاقتراحين اللذين عرضا على التصويت وقفت كل من الارجنتين وسلفادور واليونان وهايتي وليبريا والبرازيل وكولومبيا والهند الى جانب الدول العربية .. وعندما طرح على التصويت المشروع الذي اقترحته اللجنة والذي يوصي باعادة اليهود اللاجئين والمشردين الراغبين بالعودة الى بلادهم التي نزحوا عنها ، رُفض الاقتراح بالاكثرية وقد صوتت اميركا ضده ..

وفي الدورة الثانية للاقتراع ، عرض مشروع اقامة دولة متحدة في فلسطين ، فأيدته ٢٩ دولة مقابل ١٢ عارضته ، وامتناع ١٤ دولة عن التصويت ، وكانت الدول المعارضة مؤلفة من الدول العربية السبع ، تركيا ، الافغان ، ليبريا ، كوبا .

واخيراً طرح على التصويت مشروع التقسيم فايدته ٢٥ دولة

وعارضته ١٣ دولة وامتنعت ١٧ دولة عن التصويت .

والجدير بالملاحظة انه في جميع دورات الاقتراع وقفت الولايات المتحدة الى جانب روسيا السوفياتية ... وعلى الرغم من هذا الأنسجام المريب بين الدولتين ، لم ينل مشروع التقسيم سوى اكثرية ضئيلة عندما عرض امام الجمعية العمومية ، اذا بلغ عدد المخالفين للمشروع والممتنعين عن التصويت ٣٢ صوتاً . ومن بينهم مندوبو ثلاث دول كبرى هي فرنسا ، بريطانيا ، الهند الذين تعمدوا التغيب عن الاجتماع .

وهكذا اسفر نشاط هذه اللجان المختلفة التي تجاوز عددها الثمانية عشرة لجنة ، والتي استمرت دراساتها المتواصلة طيلة سبعة اشهر ما بين ليك سكسس ونيويورك وفلاشنغ ميدوز عن قرار التقسيم الذي عرض على الجمعية العمومية .

هذا المشروع الذي كان كافياً لاقراره في اللجنة الخاصة الحصول على اقلية ضئيلة بينما كان من الضروري تأمين ثلثي الاصوات في الجمعية العمومية .

ولو اننا عدنا الآن الى نتيجة التصويت الاخيرة في اللجنة الخاصة لوجدنا ان صوتاً واحداً هو الذي جعله ينال الاكثرية اللازمة (لان عدد المقترعين ـ المؤيدين والمخالفين ـ كان ٤٨ صوتاً ، والاكثرية هي ٢٥ صوتاً) .

هذا مع ان مندوب الفلبين الذي كان مقرراً ان يعارض المشروع ، امتنع عن التصويت في اللحظة الاخيرة . بحجة انه لم يتلق تعليمات صريحة من حكومته ..

وقبل ان تباشر الجمعية العمومية في التصويت على المشروع استمعت الى الخطباء من مؤيدين ومعارضين ..

وكالعادة وقف مندوبا جنوبي اميركا غرانادوس وفابرغات يدافعان عن وجهة نظر الوكالة اليهودية بكل حماسة واخلاص .. بينما لم يظهر مندوبو روسيا السوفياتية والولايات المتحدة وجميع المدافعين عن المشروع اي اندفاع او تحمس لتأييده بل اعلنوا أسفهم لاضطرارهم الى اللجوء الى مشروع التقسيم كحل اخير للقضية الفلسطينية .

وقد ابدى مندوب السويد تحفظه على المشروع واعترف بان « هذا المشروع له حسناته وله سيئاته .. » ولذلك فهو مضطر لتأييده اذا لم يعرض اقتراح افضل منه .

وقال مندوب كندا انه يؤيد مشروع التقسيم لانه افضل من باقي الاقتراحات والحلول التي عرضت .

اما وزير خارجية بلجيكا فان لا كنهوف فقال عن المشروع : « لسنا متأكدين من ان المشروع عادل وعملي ، كما اننا نخشى ان ينتج عنه ذبول خطيرة .. ولكن اخطر من ذلك هو عدم اقرار حل للقضية ، لتلافي المشاكل المالية التي هي بلا شك اسوأ من تطبيق مثل هذا المشروع .. »

وقد كان المندوب البلجيكي هو الخطيب الوحيد الذي اصاب صميم الموضوع بالنسبه للصهيونية عندما قال : « ان قضية فلسطين تتعلق بصفة خاصة الشعب البلجيكي ، لانه وجه اهتماماً خاصاً لتفهم الحركة الصهيونية ومراميها .. وادرك تمام الادراك ان الوطن

القومي الطبيعي لمواطنينا اليهود هو بلا شك ارض بلجيكا .. لان اليهود لم يتعرضوا ابداً لاي اضطهاد او معاملة سيئة تحملهم على النزوح الى فلسطين واتخاذها موطناً لهم..»

وعلى الرغم من هـــذا التصريح الصريح ، صوتت بلجيكا مع مشروع التقسيم .

وقد حاول هرتسل جونسون مندوب الولايات المتحدة ان يوهم الرأي العام العالمي ان المشروع لايعني تجزئه الاراضي المقدسة بالمعنى الصحيح لان هناك فكرة صريحة في المشروع توصي بايجاد نوع من الاتحاد الاقتصادي ، وجعل القدس مدينة دولية ، كما ان الحدود بين الدولتين الجديدتين ستكون حدوداً شكلية ، كالحدود القائمة حالياً بين كندا والولايات المتحدة .

اما خطاب ظفر الله خان ، فقد كان بليغاً ومؤثراً ، اذ قال موجهاً حديثه الى الدول الغربية :

«.. لا تنسوا انكم ستحتاجون في المستقبل الى حلفاء واصدقاء في الشرق الاوسط ، ولهذا فارجو ان لا تخسروا ما لكم مـــن رأسمال في تلك البلاد ..

ثم اضاف يسأل الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة :

« ما الغاية من انشاء دولة يهودية ..؟ أهي من باب الدافـع الانساني .. ؟ اذا كان ذلك ، فلماذا اقفلتم ابواب حدودكم في وجه اليهودي الذي لا ملجأ له ..؟ ولماذا تصرون اذن على اسكانهم فلسطين ، بل ومساعدتهم على اقامة دولة لهم .. حتى يصبح ذلـك اليهودي الذي كان بالأمس بلا مأوى يحكم العربي الفلسطيني ..؟»

واخيراً انهى وزير خارجية الباكستان خطابه بالتهكم على الحجج

والاسباب التي برر بها الدول الكبرى اقرار مشروع التقسيم..

وننتقل الآن الى المناورات التي رافقت التصويت على المشروع.

كان الاقتراع النهائي قد حدد موعده في يوم ٢٦ تشرين الثاني، على ان تسبقه جلسة للاستماع الى المناقشات الأخيرة، ولكن الوفود فوجئت وبدون سابق انذار بنبأ الغاء جلسة المناقشة وتأجيل موعد الاقتراع..

وقد جاء هذا التأجيل، بعد ان تأكد الصهيونيون انهم بحاجة الى مزيد من الاصوات لتأمين الاكثرية المطلوبة لاقرار المشروع، وقد صدف ان عيد الشكر كان في يوم ٢٧ تشرين الثاني، فكان من الطبيعي ان يؤخر الاجتماع مدة ٤٨ ساعة.. وهكذا اغتنم قادة الصهيونية والوكالة اليهودية هذه الفرصة لبذل اقصى ما في وسعهم من مساع واتصالات في اروقة الامم المتحدة..

ولم يجد اغراء الصهيونيين اي صدى او اثر عند بعض مندوبي الدول فقد اعلن الجنرال كارلوس رومولو مندوب الفلبين، الذي امتنع عن التصويت في جلسة اللجنة الخاصة، انه تلقى من حكومته تعليمات تنص على عدم تأييد قرار التقسيم.. وطعن الجنرال رومولو الصهيونية طعنة نجلاء عندما هاجم التقسيم بعنف، وقال: ان من حق كل شعب ان يقرر مصيره السياسي، وان يحافظ على وضع اراضيه وكيانه من اي اعتداء.. وان مشكلة مشردي يهود اوروبا لا علاقة لها البتة بانشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين..

وكذلك اعلن مندوب هايتي ان حكومته تحرص على الدفاع

عن حريات الشعوب الصغيرة ، ولهذا فهي لا يسعها الموافقة على مشروع التقسيم .

ومع هذه التطورات التي جاءت في غير مصلحة اليهود ، قام زعماء الصهيونية بمحاولات يائسة للضغط والتأثير على عدد من المندوبين باذلين جميع وسائل الاغراء لاستمالتهم ..

وبينما كانت مهرجانات عيد الشكر تجري في شوارع نيويورك اهتزت اسلاك البرق في المدينة الاميركية الكبرى بنبأ الغـــاء مناصب اعضاء السفارة السيامية ، ومن بينها منصب مندوب سيام في اللجنة الخاصة ، والذي كان قد عارض قرار التقسيم . . !واضاف النبأ ان ارسال بعثة دبلوماسية جديدة قد تأجل الى موعد آخر . . وهكذا خسر المعارضون للتقسيم صوتاً واحداً من جراء الغـــاء سفارة سيام . .

اما اليونان فكانت قد اعلنت معارضتها للمشروع بلسان مندوبها ؛ وكان عدد المعارضين قبل الاختفاء السحري للمندوب السيامي يتراوح بين ١٥ و ١٦ صوتاً . . ومعنى ذلك ان مـــن الضروري تأمين ٣٠ صوتـــاً فما فوق لكي يحصل المشروع على الاكثرية المطلوبة .

ومع ذلك فقد كان بامكان دعاة التقسيم ان يعلنوا ان مندوب بلجيكا وهولندا ونيوزلندا سيقفون الى جانبهم في اللحظة الحاسمة ، وكذلك مندوب اللوكسمبورغ ، وجميع هؤلاء المندوبين كانوا قد تغيبوا خلال الاقتراع على المشروع في اللجنة الخاصة .

وفي يوم الجمعة في ٢٨ تشرين الاول عقدت الجمعية العموميـة

اجتماعها ..

فتكلم اولاً الدكتور لوبز مندوب كولومبيا داعيا الى ايجاد حل سلمي ، واعادة القضية الى اللجنة الخاصة مع تكليفها بالقيام بالمساعي للمصالحة في مدة ٣ اشهر . اما السيد بارودي مندوب فرنسا فقد وقف يطلب تأجيل التصويت مدة ٢٤ ساعة .. وقد أيده في طلبه مندوبو فنزويلا والدنمرك واللوكسمبورغ بدافع المبدأ القائل : « حيث توجد الحياة .. يوجد الامل .. » وهكذا تأجل اجتماع الجمعية العمومية باكثرية ٢٥ صوتاً ضد ١٥ صوتاً ..

وكان من العسير في ذاك الحين ان يفهم المرءُ لمصلحة اي الفريقين جاءت فترة التأجيل القصيرة.. ولكن بعد ان تم الاقتراع وظهرت النتيجة ، اتضح ان التأجيل كان لمصلحة مؤيدي التقسيم..

ففي صباح ٢٩ تشرين الثاني ، وقبل اجتماع الجمعية العمومية بساعات معدودة صرح اوسوالدو ارنها مندوب البرازيل ورئيس هيئة الامم الى الصحفيين : انه بات يعتقد مقتنعاً ان قرار التقسيم سينال الاكثرية اللازمة عند طرحه على التصويت ...

وعند افتتاح الجلسة اعلن الصهيونيون بكل اعتداد انه مع موافقتهم على مبدأ التقسيم ، لا يجدون فيه تحقيق آمانيهم القومية كلها ..

اما العرب فقالوا انهم يمكنهم الموافقة على اقامة دولة على نظام المقاطعات (الكونتونات) كما وردت في التقرير الذي وضعته اقلية اعضاء اللجنة الخاصة .

وبعد بضع مناورات برلمانية ، طرح القرار على التصويت ،

فاقرّ باكثرية ٣٤ صوتاً ضد ١٢ صوتاً وامتناع ١٠ عن التصويت وتغيب مندوب واحد ..

وقـــد كان موقف ليبريا وهايتي والفلبين مدعـــاة للدهشة والاستغراب ، اذ انهم أيدوا المشروع ، بينما كانوا قـــد اعلنوا قبل ٢٤ ساعة فقط من موعـــد الاقتراع انهم سيعارضون قرار التقسيم .!!

وعندما اعلنت نتيجة الاقتراع صاح حاخام يهودي حضر الجلسة بحماس : « هذا هو اليوم الذي وعدنا به الرب.. فلنفرح به .. »

اما قبطان الباخرة «اكسودس» التي كانت السلطات البريطانية قد صادرتها لنقلها مهاجرين يهود غير شرعيين ، فقد تناول نسخة من صك الانتداب البريطاني على فلسطين واحرقها...

بينما كتبت صحيفة «نيويورك تايمس» في مقالها الافتتـــاحي معلقة على هذا القرار ما نصه : « ان اقامة دولة سياسية على اسس ومعتقدات دينية فقط ، لأمر ليس فيه من الحكمة شيء.. »

وكانت بعض الصحف بعيدة النظر اذ اعترفت ان نتيجة هذا القرار قد يهدد السلام والأمن في العالم ..

اما مندوبو الدول العربية فقد استقبلوا قرار التقسيم بالهيـاج والسخط ، واعلنوا ان الدول العربية لن تتقيد بقرار هيئة الامم لانه جاء مجحفاً بحق العرب .

ومنذ تلك اللحظة دق الاسفـين الاول بين الغرب والعـــالم العربي الاسلامي .

اما نتائجه فقد ظهرت في الشرق الاوسط.. فمن مراكش الى

كراتشي بالباكستان .. تدهورت كرامة الولايات المتحدة وحليفاتها الى ادنى الدرجات ...

والواضح الآن .. ان اكثرية ثلثي اعضاء الجمعية العمومية صوتت الى جانب التقسيم .. ولكن الامر الذي ما زال غامضاً .. هو كيف ضمنت هذه الاكثرية ؟ وكيف حصل الضغط .؟!

لنعد قليلاً الى الوراء .. كيما نوضح هذه النقاط والحقائق الغامضة ..

.. ففي ابان الصراع الحاسم ، وعندما كانت النتيجة غير مضمونة لمشروع التقسيم ، وقف عضو الكونجرس الاميركي عمانوئيل سيلر يهاجم بشدة وفد الولايات المتحدة الدائم في هيئة الامم ، لان نظارة الخارجية تولت وحدها اختيار اعضاء الوفد .. وكانت حجة سيلر الصهيوني تنحصر في ان الوفد الاميركي لم يسعَ كما لم تسعَ نظارة الخارجية للضغط او التأثير على أي عضو من اعضاء هيئة الامم ..!

وبينما كان الشيخ وارن اوستن رئيس وفد الولايات المتحدة لهيئة الامم يعبر عن سعادته لانه مكنّ اليهود الاميركيين غير الصهيونيين من عرض وجهة نظرهم على اعضاء الوفود الاجنبية عن طريق حكومات تلك الوفود ، كان دعاة الصهيونية يتقدمون بجرأة الى مفوضيات عدة دول اجنبية للحصول على تأييدها مستخدمين شتى وسائل الاغراء ! وقد كان في طليعة هؤلاء الصهيونيين الذين لعبوا دورهم الكبير : القاضي جوزيف بروسكاوير رئيس اللجنة الاميركية اليهودية ، والاقتصادي روبرت ناثان ،

ودافيد نايلز مستشار البيت الابيض لشؤون الاقليات .. فقد اتصل هؤلاء الثلاثة بالحكومات الاجنبية او بممثليها بوصفهم مجرد «مواطنين اميركيين».. وكانوا رجالاً اذكياء يعرفون من أين تؤكل الكتف .. إذ استطاع مثلاً روبرت ناثان بوسائله الخاصة ان يضعف مقاومة ليبريا ويجعلها توافق على قرار التقسيم بعد ان عارضه مندوبها في اجتماعات اللجنة الخاصة .. كما ان هؤلاء اليهود الثلاثة وغيرهم من المتنفذين في البيت الأبيض راحوا يلوحون لعدد من مندوبي جنوبي اميركا ، بان تأييدهم لقرار التقسيم سيساعد كثيراً على تحقيق مشروع الطريق الاميركي بين الجمهوريات الشمالية والجنوبية.. من الاعتمادات الاميركية ..

حتى السيدة اليانور روزفلت بذلت الجهود الجبارة، واستعانت باصدقائها ونفوذها للضغط على عدد من مندوبي الدول الأجنبية ، كما كانت تلح باستمرار على خليفة زوجها هاري ترومان لأن يضغط على موظفي نظارة الخارجية الذين كانوا يحصرون نشاطهم في مناقشات سلمية مع ممثلي الدول الأخرى ...

وعندما كان مصير قرار التقسيم ما زال سراً غامضاً قام برنارد باروخ بمساعٍ خاصة مع فرنسا المستفيدة من مساعدات مشروع مارشال ، كما ان عدة شخصيات اميركية متنفذة اتصلت بمندوبين آخرين امثال مندوبي هايتي والحبشة والفليبين ، والباراغواي ، واللوكسمبورغ وضغطت عليهم لتأييد قرار التقسيم ...

وقد كانت جميع وسائل الضغط والاغراء التي استخدمها اولئك المتنفذون تعتمد على موارد الولايات المتحدة الاميركية ونفوذها

الواسع ...

وقد اشار الصحفي درو بيرسون وهو صديق قديم للصهيونية الى المخابرة الهاتفية التي جرت بين ادولف بيرل المستشار الرسمي لحكومة هايتي ورئيس جمهوريتها ، والتي اسفرت عن تأييد مندوب هايتي لقرار التقسيم .. وكذلك تحدث عن الاتصالات التي جرت بين هارفي فيرستون صاحب مزارع المطاط الشاسعة في ليبريا وبين حكومة ليبريا ، والتي انتهت بان وقفت ليبريا الى جانب التقسيم ..

وفي اثناء مأدبة غداء اقيمت في اليوم الاول من كانون الاول ١٩٤٧ قال روبرت لوفيت سكرتير نظارة الخارجية بصراحة ما نصه بالحرف الواحد : « انني ما تعرضت في حياتي ابداً الى مثل الضغط والاغراء اللذين تعرضت لهما خلال الثلاثة ايام التي سبقت طرح قرار التقسيم على الجمعية العمومية .. »

واضاف لوفيت يقول : « ان الحمية والنشاط اليهوديين قد بلغا اقصاهما حتى طغيا على المطالب الايجابية العادلة .. »

ولقد كان في مقدمة الذين اتصلوا بلوفيت وضغطوا عليه هربرت بايارد سواب وروبرت ناثان . واستناداً الى اقوال لوفيت نفسه ، ثبت ان شركة فيرستون للمطاط استغلت نفوذها في ليبريا للضغط على حكومتها مباشرة لقبول التقسيم ..

اما المهزلة الكبرى .. فهي التي مثلت لكسب الفلبين الى جانب التقسيم ..

فقد غادر الجنرال رومولو الولايات المتحدة ، بعد ان اعلن

معارضته الشديدة لقرار التقسيم . وبعد سفره مباشرة اتصل سفير الفلبين برئيس الجمهورية روكساس هاتفياً ، وانبأه بالضغط الشديد الذي تعرّض له روموللو واعضاء الوفد ، ثم ابدى وجهة نظره وهي تقضي بضرورة تأييد قرار التقسيم ، لا سيما وان حكومة الولايات المتحدة ووفدها في هيئة الامم مصممان على اقرار المشروع ، وابلغ السفير الفلبيني رئيسه ان مصلحة الفلبين هي في تأييد الولايات المتحدة في موقفها.. وكان ان وافق رئيس جمهورية الفلبين على وجهة نظر السفير ..

وفي هذه الاثناء ، تلقى الرئيس روكساس ايضاً برقية موقعة من سبعة وعشرين شخصية اميركية من انصار الصهيونية في مقدمتهم عضو الكونجرس الاميركي روبرت داكز ، وفيها يطلبون بالحاح تأييد مشروع التقسيم ، ويذكرون المسؤولين في الفلبين بالفوائد التي ستجنيها الجزيرة من جراء هذا الموقف .

وهذه البرقية نفسها ، كانت قد ارسلت الى اثني عشر مندوباً من مندوبي الدول في هيئة الامم ، وكان من نتيجتها ، ان اربعة منهم انقلبوا الى تأييد المشروع بعد ان كانوا معارضين له ، كما تحوّل سبعة مندوبين من المعارضة الى الامتناع عن التصويت .

وكانت اليونان الدولة الوحيدة التي احتفظت بموقفها المعارض على الرغم من الاغراء والضغط اللذين تعرض لهما وفدها في اروقة الامم المتحدة ..

وعندما انتهى الاقتراع على المشروع وقف ظفرالله خان يعلق على النتيجة فقال :

« لقد سعينا لاحقاق الحق الذي استوحيناه من الله .. ونجحنا في اقناع عدد من مندوبي الدول ليروا الحق كما لمسناه .. ولكن ضاعت مساعينا في التيار الجارف .. ونحن لا نحقد على زملائنا المندوبين الذين اكرهوا تحت الضغط والاغراء الشديدين، ان يبدلوا موقفهم ويقترعوا مع مشروع لا تقره لا العدالة ولا الانصاف.»

وما ان مضت بضعة اشهر على تلك النتيجة ، حتى اعترف «دين روسك» رئيس مؤسسة روكفلر امام جمع من ممثلي المنظمات الوطنية الاميركية بالفضيحة التالية :

« ان الولايات المتحدة لم تقم باي ضغط مباشر على مندوبي هيئة الامم ، ولكن عدداً من كبار الشخصيات الاميركية المسؤولة اساء استخدام مراكزه الحكومية ونفوذه للضغط والتأثير على بعض مندوبي الدول .. »

واضاف روسك : « انه في سبيل اقرار التقسيم ، راح هذا الفريق من المسؤولين الاميركيين يوهم بعض مندوبي الدول ان مشروع التقسيم ، انما هو (مشروع اميركي) » .. !

وجدير بالذكر ان بعض مندوبي الدول المسيحية لم يحتاجوا الى اي ضغط او اغراء .. لان العامل الديني المسيحي لعب دوره في القضية ، وحمل اولئك المندوبين على تأييد التقسيم بدافع الدين والمساهمة في وضع حد للاضطهاد الطويل الذى تعرض له الشعب اليهودي .. فقد كان لديهم رغبة اكيدة في مساعدة اليهود على « العودة الى صهيون » وانشاء دولة لهم هناك ..

وهذا الشعور المسيحي ، وخاصة لدى الطائفة الانجيلية المستمدة

تعاليمها من التوراة ، كان من جملة العوامل التي حملت ايرل بلفور والجنرال سمطس على تأييد اقامة وطن قومي يهودي في الاراضي المقدسة .

فقد كان للعبارة التالية الواردة في صك الانتداب البريطاني على فلسطين « العلاقة التاريخية للشعب اليهودي بفلسطين » اثرها الكبير في معركة التقسيم ونجاحها . . ففي الخطاب الذي القاه الحاخام سيلفر امام اللجنة الخاصة ، شدّد على هذه العبارة ، واستند اليها في المطالبة بانشاء الوطن القومي . .

كما ان هذه العبارة بالذات دعمت الادعاء القائل بوجوب بقاء الشعب اليهودي ، فقد كانت غالبية اعضاء هيئة الامم تؤخذ بمثل هذه العبارات الرنانة ، وتتأثر بها ، اكثر من تأثرها بالحقائق التاريخية والوقائع الثابتة . .

وقد اتضح ان عبارة « الوطن القومي في فلسطين » الواردة في وعد بلفور وصك الانتداب ، لا تعني ابداً ، وليست هي مشابهة لعبارة « الدولة اليهودية بفلسطين » ، لانه لو كان هدف المسؤولين انشاء دولة لما استعملوا عبارة اخرى لا تفي في معناها ومرماها سوى اقامة وطن قومي ليس الا . . .

ثم ان وقوف الصهيونية موقف اللامبالاة من مشروع ستراتون بشأن مشردي اوروبا ومعارضتها العنيفة لاسكان ٣٠ الف يهودي مشرد في غوبانا الهولندية في جنوبي اميركا ، كشف النقاب عن الغاية الاساسية لزعماء الصهيونية . .

ولكن الشيء الذي يؤسف له ، هو ان تتحد اميركا مع

روسيا في جبهة واحدة لتسيطر عـــلى باقي الوفود وتظهر بمظهر المؤيدة للصهيونيـــة ضاربة بالاعتبارات الانسانية عرض الحائط ...

ان اولئك الدبلوماسيين ، لم يدركوا ان « الوطن القومي » لا يتطلب اقرار التقسيم .. لانـــه بالامكان اسكان ٦٠٠ الف يهودي ، يضاف اليهم ٢٠٠ الف من اليهـــود المشردين، في دولة موحدة او في دولة فدرالية ، كجمهورية الاتحاد السويسري .. اذ ان الجمهورية السويسرية مثلاً تتألف من اربع جنسيات مختلفة تتكلم اربع لغات مختلفة ايضاً وتعيش في مقاطعات (كونتونات) منفصلة .. ولكن ضمنت لجميع هذه المقاطعات حقوقاً متساوية .. وهي تؤلف في مجموعها دولة سياسية واحـــدة .. واذا كان السويسري من اصل الماني ، او ايطالي او فرنسي ، استطاع ان يعيش بسلام بجوار مواطنه خلال حربين عالميتين ، في جمهورية واحدة احتفظت بحيادها التام .. فليس من العسير اذن ان يعيش العربي واليهودي اللذين يتكلمان لغة سامية واحـــدة ضمن دولة واحدة . ولكن حيال الدعاية الواسعة التي قام بها زعماء الصهيونية في طول اميركا وعرضها ، والتي كانت تؤكد ان: « كل اليهود راغبون في انشاء دولة لهم » وجدت عدة دول مسيحية اوروبية نفسها مضطرة لمساعدة « خلق اسرائيل » لتكفر عن الاخطـــاء التي اقترفتها بعض الدول الاوروبية المسيحية بحق اليهودية ...

وقد اعترف سفراء الارجنتين وكولومبيا والبيرو والنروج في محادثات خاصة مع المؤلف ، انه لو برزت معارضـــة قوية

من اليهود ضد فكرة الصهيونية ، لكان من شأنها اضعاف القضية وبالتالي عدم اقرار مشروع التقسيم ..

وقد صرح سفير البرازيل سونيور مونير واخرون غيره ، بان الحركة الصهيونية ما هي الا حركة ارتداد عن تعاليم دينية الى حزب سياسي وطني ، وان اقامة دولة يهودية في فلسطين ، قد يحمل حكومة بلادي على تبديل سياستها تجاه المواطنين اليهود القاطنين في اراضيها .

ولكن هذه الحجج الدامغة ، لا يمكن للعرب تقديمها لتدعيم وجهة نظرهم . والحقيقة الواضحة هي ان اعداء الصهيونية من اليهود لم يتمكنوا من اسماع اصواتهم ، اوالقيام بدعاية واسعة ، فاكتفوا بتقديم مذكرة ضافية تعبر عن وجهة نظرهم ، ولكن هذه المذكرة ما لبثت ان ضاعت بين آلاف المذكرات والاوراق المقدمة من الصهيونيين وانصارهم .

ومما يستلفت النظر ، انه قبل اسبوع من اقرار مشروع التقسيم ،زار وايزمن الرئيس الاميركي ترومان ، وكان هدف هذه الزيارة تدعيم وضع الصهيونية، والتأكد من ان خليج العقبة سيكون ضمن الاراضي التي ستشكل « الدولة الصهيونية » .

كما ان اتصالات عديدة جرت بين البيت الابيض والزعماء الصهيونيين عن طريق دافيد نايلز وادوارد جاكيسون ، شريك ترومان القديم في عمله التجاري بمدينة كنساس ، الذي ادى للصهيونية خدمات جلى مستغلاً صداقته المتينة بالرئيس الاميركي .

وقد حدث ذات مرة .. وفي مكتب هيئة الامم المتحدة ، ان جلس السفير هرتسل جونسون والجنرال جون هيلدرنـــغ ينقلان انباء سيئة لبعض اعضاء الوكالة اليهودية عن مصير خليج العقبة وفيما هما يسردان الانباء، رن جرس الهاتف، وكان المتحدث هو الرئيس ترومان نفسه ، وكان يبلـــغ تعليماته الجديدة بشأن خليج العقبة وقد كانت هذه التعليمات طبقاً لرغبات وايزمن..

وقد كان مشروع تقسيم فلسطين ، القضية الأولى والوحيـدة التي جمعت بين الولايات المتحدة والأتحاد السوفياتي في صف واحد، وجعلت بينهما نوعاً من الأنسجام منذ انشئت هيئة الأمم ..

وقد صرح مندوب فنزويلا السنيور زولواغا بكل بساطة «ان هذا التفاهم بين السياسة الروسية والاميركية على قضية فلسطين هو اعظم حدث تاريخي هام في حياة هيئة الأمم .. »

ويجدر بنا الاعتراف هنـا ، ان الحكومة الاميركية قـــد برهنت في موقفها مع السياسة الروسية في صف واحد ، عن جهلها التام للاساليب السوفياتية ...

دعونا نتساءل ..

لماذا كان الكرملين يسمح بل يشجع هجرة اليهود اللاجئين الى اسرائيل من الدول الشرقية الواقعة تحت نفوذه .. ؟

لمـــاذا كان الكرملين يسمح بتجمع حوالي ٣٠ الف مهاجر يهودي في موانىء البحر الاسود استعداداً لتسفيرهم الى فلسطين اذا كان هذا العمل لا يخدم الاغراض السوفياتية ،ويتفق وخططهم المرسومة نحو الشرق الاوسط..

ان هذه الامور وغيرها ، كانت الولايات المتحدة تعلم بها .. اذ ان ممثليها الدبلوماسيين في موسكو وعواصم اوروبا الشرقية بعثوا بتقارير وافية عنها .. ولكن المسؤولين في واشنطون لم يأبهوا لها ..

وهكذا اتاحوا للروسيا ان تمضي في مناورتها .. فقد كانت روسيا السوفياتية اول من طالب من على منصة هيئة الامم بانهاء الانتداب على فلسطين ، وجلاء القوات البريطانية عنها ، وكانت تهدف من وراء ذلك الى خلق القلاقل والفوضى في تلك الربوع ، لتتمكن اصابع الشيوعية من التغلغل هناك ... ولكن لماذا لم تنتبه اميركا الى الاعتراضات التي وجهها انصار الصهيونية من السوفيات ...؟

لان الولايات المتحدة كانت تجهل كل الجهل الوضع السياسي والاجتماعي في الشرق الاوسط .. فقد كان الاعتقاد السائد عند اغلب الاميركيين ان تلك البلاد يسكنها شعب بدوي ، لا يمكن ان يكون له ادنى تأثير او اهمية بالنسبة للولايات المتحدة .. وقد لعبت الدعاية الصهيونية الواسعة التي اجتاحت اميركا وغذتها المؤسسات الصهيونية بالاموال والنفوذ ، الاثر الكبير في اشاعة مثل هذه الاضاليل . حتى بات الاعتقاد في دوائر واشنطن انه يمكن التضحية بمصالح ذاك الشعب البدوي دون ان تتعرض مصالح الولايات المتحدة لاي خطر .. واستناداً الى هذه السياسة الخاطئة ، اعتقدت اميركا جازمة ان لا خطر في تقسيم فلسطين ، ومساعدة اليهود المعذبين على حساب العرب .. لاسيما

وان السياسة السوفياتية جاءت منسجمة مع خطتها..

وشيء آخر يجب ان يذكر في هـذا المجـال ، هو موقف الاميركيين الذين أيدوا التقسيم.. ان هذا النفر من الاميركيين لم يؤيد انشاء دولة اسرائيل اقتناعاً منه بحق اليهود فيها، وانما لانه كان يجد في انشاء دولة لليهود فرصة مناسبة للتخلص من اليهود في اميركا..

ولقـد برهنت السنوات القليلة التي مرت عـلى انشاء الدولة اليهودية في فلسطين على ان الراوبط بين هذه الدولة وبين اليهودية الاميركية كانت متينة وثيقة.. وصار واضحاً الآن ان اخـلاص يهود اميركا غدا منحصراً في خدمة اسرائيل ومساعدتهـا حتى ولو ادى بهم ذلك الى التضحية بمصالح البـلاد التي يسكنونها ويحملون جنسيتها ويتمتعون بامتيازاتها..

بالاختصار.. لقد وجهت هيئة الامم المتحدة ضربة قاضيـة للمبادىء الانسانية والحقوق الدولية ، بتسرعها في معالجة القضية الفلسطينية باساليب بعيدة عن التروي والعدالة..

لقد حصرت هيئة الامم ابحاثها في دراسة مسألة منـح اليهود نصف ارض فلسطين لينشئوا عليهـا وطناً قومياً لهم.. وتجاهلت مشكلة مشردي اوروبا الذين خلفتهم الحرب العالمية الثانية بـلا مأوى ، مع ان معالجة هذه القضية الاخيرةهي من اولى واجبات هيئة الامم..

ثم.. ان اللجنة الخاصة التابعة لهيئة الامم وضعت بالاجماع توصية تنص على ان قضية فلسطين لا تحل المشكلة اليهودية..

ولكن القائمين على هيئة الامم تجاهلوا هذه التوصية.. بل انهم سخروا من التوصية الواردة في وعد بلفور وصك الانتداب، ومن تقرير لجنة التحقيق الاميركية-البريطانية الذي نص على انه لا يمكن اقامة دولة يهودية في ارض فلسطين اذا استمرت العداوة بين اليهود والعرب .

لقد ضرب القائمون على هيئة الامم بهذه التوصيات عرض الحائط، واقاموا دولة اسرائيل ليبرهنوا ان بالامكان انشاء دولة يهودية على الرغم من عداوة اليهود والعرب ..

واذا كانت هيئة الامم قد تجاهلت هذه الحقيقة الواضحة ..

فان الواقع لا يمكنه ان يتجاهلها .. وهكذا فقد قام كل من يهودا ماغنز واحاد حاييم ولويس برانديس والبرت انشتاين بمساعٍ جبارة في مختلف الحقول الثقافية في الارض المقدسة من اجل ازالة هذه العداوة..

لقد علقت هيئة الامم اقرار مشروع تقسيم فلسطين واقامة دولتين يهودية وعربية ، على قبول الفريقين باقامة اتحاد اقتصادي بينهما وتدويل القدس ..

ولكن ، ها قد مرت ست سنوات على هذا القرار المشؤوم ، ولم يقم هناك دولة عربية الى جانب الدولة اليهودية .!

ولم يقم اتحاد اقتصادي ..

ولم تُدول مدينة القدس..

ولا اقيمت حدود ..

وليس هناك من سلام او استقرار يخيم على الارض المقدسة .

بلى ..

هناك دولة يهودية تعاني ضائقة اقتصادية خانقة ..

وهناك خطوط هدنة..

والمدينة المقدسة مقسمة الى شطرين ، يفصلها منطقـــة حرام لا تتجاوز مساحتها ٥٠ قدماً ..

وهناك ايضاً..

نصف مليون من العرب مشردين في البلدان العربية تفتك بهم الامراض والشيوعية ..

* * *

obeikandl.com

الفصل الرابع

ولادة دولة !

*

.. ما ان اعلن قرار التقسيم في يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧، حتى تحولت الارض المقدسة الى ساحة حرب، سفكت فيها الدماء وسادها الرعب والاضطراب، وقتل ١٧٠٠ نفس في المائة اليوم الاولى التي تلت القرار المشؤوم..

وكل هذا كان من نتيجة تسرع هيئة الامم .. لقد وجدت هيئة الامم اسباب العلة في القضية الفلسطينية، ولكنها لم تبذل اي جهد فعال لمعالجتها ..

لقد اعلن العرب منذ اللحظة الاولى معارضتهم للقرار .. وبريطانيا نفسها حافظت على وعدها بعدم فرض اي قرار على فلسطين ما لم يوافق عليه العرب واليهود معاً ..

اما هيئة الامم فقد وقفت تنتظر حدوث اعجوبة من السماء تحمل العرب واليهود على التفاهم والوصول الى اتفاق فيما بينهم ..

وبينما كانت الفوضى تعم الارض المقدسة، والاضطرابات

تزداد يوماً بعد يوم تنذر بهبوب العاصفة .. كانت هيئة الامم صامتة ساكنة ..

وهنا راح دعاة التقسيم ينادون بضرورة التدخل المسلح لوقف هذا الصراع العنيف، ان لم يكن عن طريق هيئة الامم، فبواسطة الولايات المتحدة وحدها.. وكان في طليعة المتحمسين لهذا التدخل المسلح السيدة اليانور روزفلت، وسمنر ويلز، والشيخ هربرت ليهمان والبرت توماس؛ والشيخ تافت الذي اقترح انشاء جيش خاص لفلسطين.

وعندما انعقد مجلس الأمن في ليك سكس لبحث القضية، توجه مندوب اميركا وارن اوستن الى واشنطن حيث تداول الموضوع مع وزير الخارجية مارشال .. ثم عاد الى ليك سكس وابلغ اعضاء مجلس الامن وجهة النظر الاميركية التي تعترف بان ليس من صلاحية المجلس فرض التقسيم بقوة السلاح طبقاً لميثاق الهيئة، ولا يمكنه التدخل الا في حالة تهديد السلم العالمي..

وهكذا وقفت الولايات المتحدة في وجه التدخل المسلح لفرض التقسيم ..

ولكن ما هو سبب هذا الانقلاب المفاجىء في السياسة الاميركية ..؟

ان السياسة الاميركية كانت موزعة بين عاملين قويين : عامل حاجتها الى البترول العربي .. وعامل الخوف من فقدان اصوات الصهيونيين وانصارهم في اميركا ..

ولذا فقد اعتقدت اميركا انها بانتهاجها هذه السياسة الجديدة، قد

تكسب العاملين معاً ..

وفي هذه الاثناء اخذت الصحافة الاميركية تتحدث تلميحاً عن الضغط الذي يتعرض له الرئيس ترومان ، من قبل فريق من ساسة نيويورك ، ليحملوه على مساندة اسرائيل مساندة قوية .. ولم يقتصر التلميح على الصحف ، بل خرج الى الشارع . ففي احدى الاجتماعات التي عقدها الحزب الديمقراطي في برونكس ، وحضرها عدد كبير من اليهود ، وقف المرشح العمالي ليو ايزاكسون يدافع عن وجهة نظر الصهيونيين ويطالب بوقف شحن الاسلحة الى العرب ، وارسال قوات اميركية الى فلسطين لفرض التقسيم بقوة السلاح .

ومرة اخرى وقع البيت الابيض بين شقي الرحى ..

فمن جهة أصر زعماء الحزب الديمقراطي على مساندة الصهيونيين لكسب اصوات يهود اميركا في صفهم بالانتخابات القادمة ..

ومن جهة اخرى اصرت نظارة الخارجية على تجنب سفك دماء الفريقين بفلسطين ، وتعريض القوات الاميركية لمواقف حرجة ..

ويبدو ان ترومان نفسه كان متردداً في ارسال قوات اميركية الى فلسطين . وكان حريصاً كل الحرص في عدم تدخل هيئة الامم ، لأن تدخلها يعني اشراك قوات روسية في التدخل المسلح .. وهذا ما تعارضه اشد المعارضة وزارة الحربية الاميركية ومجلس الدفاع الوطني .. حتى لا تفتح باب الشرق الاوسط امام القوات الروسية ، فتدخله تحت ستار هيئة الامم .

وعلى ضوء هذه الوقائع ، اختارت السياسة الاميركية اهون

الشرين ، وراحت تحاول جاهدة ان تجد تدابير مؤقتة لحل القضية الفلسطينية ضمن الحدود القانونية ...

وهكذا ، انقسمت الكلمة بين الدول الخمس الكبرى :

بريطانيا التزمت جانب الحياد ..

روسيه السوفياتية ارتاحت لما حدث في فلسطين ، لانها كانت ترغب في تفاقم الحالة كيما يتسنى لها التدخل ..

فرنسا كانت تسعى لايجـــاد نوع من المصالحة بين الفريقين المتنازعين ..

اما الصين فقد طالبت بتدخل سريع ومعاملة متساوية لليهود والعرب ..

وكانت الولايات المتحدة وروسيا السوفياتية الدولتين الوحيدتين الراغبتين في التثبت من الحالة في فلسطين ، وفيما اذا كانت تهدد السلم العالمي ..

وفي هذه الدوّامة من الآراء المتضاربة لم يكن امام مجلس الامن الا ان يفرض عقوبات اقتصـــادية او ان يقوم باي عمل ايجابي ليحمل العرب واليهود على الاتفاق ...

ولكن المجلس لم يتمكن من اتخاذ قرار معين ، لعدم توفر الاكثرية المطلوبة لذلك ، وهي سبعة من ١٢ .

وفي التاسع عشر من شهر اذار سنة ١٩٤٨ دعـــا مندوب اميركا وارن اوستن مجلس الامن لوقف جميع التدابير المتخذة بشأن تنفيذ قرار التقسيم ، والسعي لاقرار هدنة في فلسطين ، ثم دعوة الجمعية العمومية لجلسة خاصة للموافقة على اقرار نظام جديد

للوصاية على فلسطين باشراف هيئة الامم نفسها ...

وهـــذا التبدل الفجائي في سياسة اميركا كان مستوحيا من الفشل الذريع الذي منيت به لجنة الامم المتحدة في اقرار الامن في ربوع فلسطين، ومن التحذيرات التي تضمنها تقرير ادارة الامن الوطني، والقائلة بان اضطراب الحالة في فلسطين يهـــدد مصالح الولايات المتحدة في تلك المنطقـــة. كما ان الادارة المركزية الاميركية اشادت باهمية الشرق الاوسط الستراتجية، وبنابع البترول الغزيرة في اراضيه.

وامام هذه الحقائق والتحذيرات .. لم يكن امام الرئيس ترومان الا ان ينحني لهـــا ... وهكذا تحول اتجاه السياسة الاميركية.

وقد قوبل هـــذا التبدل في سياسة الولايات المتحدة، من تأييد عنيد لمشروع التقسيم الى الدعوة لاقامة نظـــام للوصاية، بالدهشة والاستغراب في دوائر هيئة الامم. فقد كانت الولايات المتحدة حتى الامس القريب تؤيد التقسيم وتسانده بكل قواها، بل انها ذهبت الى ابعد من هذا، عندما اقترحت اجراء استشارات بين الدول الكبرى والمجلس العسكري الاعلى لهيئة الامم، لتنفيذ التقسيم ...

واتساءل الآن كيف حصل هذا التبدل ..؟

يبدو ان وارن اوستن المندوب الاميركي اتخـــذ لنفسه حـــق المبادرة في عرض الاقتراح الجديد دون ان يعلم البيت الابيض بالامر ...

هذا ما يبدو للوهلة الاولى ..

ولكن الحقيقة ، ان مشروع اوستن كان قد ارسل الى البيت الابيض للاطلاع عليه ، وقام روبرت ما كلنتوك احد كبار نظارة الخارجية وضابط الارتباط في هيئة الامم بعرض المشروع على احد مساعدي الرئيس ترومان .. فاجابه هذا الاخير بان البيت الابيض موافق عليه ، وهكذا اعاد ما كلنتوك المشروع الى اوستن بعد ان وضع عليه ملاحظة تفيد ان البيت الابيض موافق عليه.

ولكن ما ان انتهى اوستن من عرض المشروع الجديد على مجلس الامن ، حتى انهالت عليه الاسئلة من البيت الابيض ، بل ان ترومان نفسه طلب الاطلاع على النص كما تلي ، فرفع اليه .

ولما لم يبد ترومان اي اعتراض على المشروع ، اعتقد كبار موظفي البيت الابيض انه قد حظي بموافقة الرئيس ، فسلم المشروع مجدداً الى نظارة الخارجية التي قامت باذاعته على العالم ..

ومع ذلك فلم يسلم المشروع الجديد من الانتقاد ..

فبينما كان مارشال يعلن ان نظام الوصاية هو المخرج الوحيد لحقن الدماء ، كان عضو الكونجرس الديمقراطي ارتوكلاين من بروكلند ، يصف هذا العمل « بانه افظع عمل تعرض له الشعب اليهودي منذ حادثة ميونيخ .. »

وهاجم حاكم نيويورك الجمهوري توماس ديوي المشروع بشدة وعنف ، وكذلك هدد رئيس المنظمة الصهيونية الاميركية نيومن بانه اذا وافقت هيئة الامم على الغاء قرار التقسيم ، فان الشعب

اليهودي سيطالب بكامل فلسطين ..

وادلت جريدة «نيويورك تايمس» وغيرها من الصحف الاميركية بدلوها في الحملة ، وراحت تطالب الرئيس ترومان باصدار بيان صريح عن موقفه ليمهد الطريق امام الاعتراف بالدولة اليهودية ..

وما ان انقضى يومان على تلك الحملة .. حتى تحدث ترومان موضحاً الموقف ، فقال انه دعا حقيقة الى اقامة نظام من الوصاية المؤقتة على فلسطين ، ولكنه نفى ان يكون قد صرف النظر عن مشروع التقسيم ..

وفسرت الدوائر السياسية هذا التصريح بانه تراجع ظاهر للسياسة الاميركية الجديدة التي عرضها وارن اوستن . وقد أيد ذلك ان بعض اعضاء الوفد الاميركي في هيئة الامم ، ومن بينهم اوستن نفسه ، ردد قول ترومان ، واعلن ان نظام الوصاية المقترح لن يحل مكان مشروع التقسيم . وانما هو تدبير مؤقت من شأنه تنظيم الادارة في فلسطين بعد جلاء سلطات الانتداب عن فلسطين ..

واتساءل الآن .. لماذا تجاهل اعضاء اللجنة الدولية الذين اوصوا بالتقسيم هذا الموضوع ، ولم يُضمنوا تقريرهم فترة انتقال كنظام الوصاية، ريثما تسوّى الخلافات بين العرب واليهود ..؟

على كل حال ، فان هذا اقتراح الجديد الرامي الى اقامة نظام وصاية مؤقت ، والذي برز كوسيلة لانقاذ الارض المقدسة من ان تصبح برميلاً للبارود يؤدي الى حرب عالمية ثالثة في المستقبل قد اخمدته اصوات الصهيونية الهائجة وحلفائها ...

وفي العشرين من نيسان ١٩٤٨ ، قدمت الولايات المتحدة الى اللجنة الخاصة الثانية التابعة للجمعية العمومية نسخة من « مشروع نظام الوصاية على فلسطين » تتضمن مقترحات للوصاية شبيهة بالمقترحات التي كانت قد عرضت سابقاً على مجلس الامن .. ولكن هذه المقترحات رفضت لعدم موافقة اكثرية ثلثي الاصوات عليها . وقد كان لمحاولات الضغط والاغراء المتواصلة التي قام بها اليهود في اميركا ، يضاف اليها بعض الانتصارات التي احرزتها « الهاغانا » في فلسطين ، اثر كبير في ابراز قرار التقسيم كأمر واقعي ..

وقد انتهزت الصحف الجمهورية هذه المناسبة السانحة لشن حملة شعواء على ادارة ترومان والحزب الديمقراطي لخيانتهما للمثل الانسانية وذلك سعياً وراء استمالة اليهود الى جانب حزبها .. كما ان المنظمات الصهيونية نشطت بالدعاوة لكسب تأييد الرأي العام العالمي ؛ فاحتلت قصة « الحرب الباسلة » التي يخوضها اليهود بفلسطين المكان الاول سواء في الصحف أم في الراديو .

ففي مدينة نيويورك عقد الشيوعيون والعمال اليساريون اجتماعاً حافلاً ضم حوالي عشرة الآف شخص ، هاجم الخطباء خلاله ما سموه « بسياسات البترول » التي يتأثر بها المسؤولون الاميركيون .

وفي ٨ نيسان اقيمت صلاة خاصة في اكثر من ٨ آلاف كنيس يهودي احتجاجاً على سياسة اميركا تجاه « صهيون » . وكان للمساعدة التي قدمتها المنظمة الاميركية الوطنية اثرها الفعال في اثارة الرأي العام الاميركي ، ودفعه لمناصرة القضية الصهيونية . فقد كان رئيس المنظمة كلارك ايشلبرغر ، من اشد

المتحمسين لقرار التقسيم ، وقد حدث أنه عندما عارض كرميت روزفلت قرار المنظمة (بوصفه عضواً فيها) بتخصيص مبالغ ضخمة للدعاية لقرار التقسيم ، وقف في وجهه عدد كبير من الاعضاء البارزين امثال سمنر ويلز ، واليانور روزفلت .. واصروا على القرار المذكور .

وفيما كان موعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين يوشك ان يحل ، كانت المعارك الدامية في الارض المقدسة تزداد عنفاً وشدة ، وكان الرأي العام في اميركا ، حتى الجمعية العمومية نفسها ، يزداد هياجاً واندفاعاً في تأييد الصهيونية .. ولعل ابلغ دليل على تحيز الجمعية العمومية هو رفضها السماح للدكتور يهودا ماغنز بالمثول امام الاعضاء ليدلي بوجهة نظر اليهود غير الصهيونيين في القضية ، وسماحها فقط للوكالة اليهودية بالتحدث باسم « الشعب اليهودي ». وقد صرح البرت انشتاين ، الذي أيد موقف الدكتور ماغنز ، قائلاً : « اننا نتوجه الى اليهود في اميركا وفلسطين بان لا يتركوا انفسهم تتردى في يأس قاتل او في بطولة زائفة قد تودي بهم الى مهاوي الدمار والانتحار ... »

وحريّ بالذكر ان الصهيونيين الذين استغلوا اسم انشتاين وشهرته الواسعة ، من اجل الدعاية لقضيتهم ، تجاهلوا كلمته الحكيمة تلك ...

وفي غمرة هذا الصراع الدامي ، راحت عدة منظمات يهودية اميركية تجمع التبرعات الضخمة من اجل الدعاية لقرار التقسيم ، وكانت هذه التبرعات تجمع دائماً باسم « المشردين الذين

لا مأوى لهم » .

فقد وقف جاكوب جافيت ممثل مدينة نيويورك الجمهوري يخطب في حشد من النساء الصهيونيات قائلاً : « سنحارب حتى الموت لخلق الدولة اليهودية بفلسطين . »

وقام القاضي بروسكاوير ينفخ في ابواق الدعاية الصهيونية ، ويطالب الولايات المتحدة ببيع الاسلحة الحربية الى « الهاغانا » ، لان رجال هذه المنظمة انما يدافعون عن قرار اتخذته هيئة الامم .

كما ان وفوداً كثيرة من المنظمات واللجان اليهودية وغير اليهودية زارت البيت الابيض طالبة تدخل الولايات المتحدة لانقاذ الدولة اليهودية وهيبة الامم المتحدة

وفي حدة هذه الدعاية المنظمة والاصوات الهائجة ، ارتفعت عدة اصوات مخلصة تدعو للتعقل والتفاهم ، ولكنها سرعان ما اخمدت وتلاشت .. امام تيار الصهيونية الجارف .

فقد حاول وليم توك السكرتير الاول لمنظمة اللاجئين الدولية ان يوضح للاميركيين الهائجين ان فلسطين لا يمكن اعتبارها ملجأ امينا .. للمشردين الذين لا مأوى لهم .. كما ان صحيفة « نيويورك تايمس » ذكرت في عددها الصادر في ١٥ ايار احصائيات موثوقة ، تفيد ان غالبية يهود اوروبا المشردين كانت قد اعلنت في عام ١٩٤٧ عن رغبتها في الذهاب الى فلسطين ، ولكن ثمانين بالمائة من هؤلاء اليهود يريدون الآن التوجه الى الولايات المتحدة « وانهم لا يرغبون مطلقاً الذهاب الى الارض المقدسة .. » ولكن هذه الاصوات المخلصة ضاعت ايضاً في ضجيج الدعاوة الصهيونية ..

وعندما عين الجنرال جون هيلدرنغ مستشاراً خاصاً لشؤون فلسطين في نظارة الخارجية ، ساد الاعتقاد بان الولايات المتحدة أدخلت تبديلاً جديداً على سياستها .. فان الجنرال هيلدرنغ كان قدصرح امام المجلس اليهودي الخيري قبل يومين من تعيينه في منصبه الجديد « بأنه يؤيد التقسيم » ..

وشيء آخر ..

فقد اعلن وايزمن قبل ايام معدودة من جلاء قوات الانتداب البريطانية عن فلسطين ما نصه :

« لقد تمكنت من توطيد علاقاتنا بأصدقائنا في واشنطن ، وتأكدت انه سيتم الاعتراف بالدولة اليهودية في اللحظة التي يعلن فيها عن انشائها .. »

وفي ١٣ ايار ١٩٤٨ كتب رسالة خاصة الى ترومان يطلب فيها : **« ان تعترف الولايات المتحدة حالاً بالحكومة المؤقتة للدولة اليهودية الجديدة .. »**

وحتى تلك الساعة كانت الجمعية العمومية لم تبطل بعد قرار التقسيم الصادر في تشرين الثاني ١٩٤٧ ، كما انها لم تكرر تأييدها له ، بل ظلت تتلهى بمعالجة القضية الطارئة : وهي كيفية انقاذ الارواح في فلسطين ..

وفي هذه الاثناء كانت الجيوش العربية تستعد للزحف على الارض المقدسة ..

وكانت حكومة الولايات المتحدة ما تزال ـ ظاهرياً ـ تعرض مشروع « هدنة واقامة نظام للوصاية » ، وهي السياسة التي املتها الهيئات العسكرية العليا ..

ولكن في صبـــاح ١٤ ايار ١٩٤٨ ، تمكن كلارك كليفورد مستشار الرئيس الاميركي الخاص – والذي كان على اتصال مستمر بزعماء الحزب الديمقراطي وقادة الصهيونيـة – من اقناع رئيسه ترومان بوجوب القيام بعمل فوري لانقاذ الحزب الديمقراطي من هزيمة محققة في الانتخابات المقبلة، لاسيما وان قادة الحملات الانتخابية في الحزب الديمقراطي كانوا قـــد ابلغوه ان « مشروع الوصاية » الذي عرضته حكومة واشنطن سوف يودي بترومان الى فشل ذريع ، وان هناك ثورة داخلية في الحزب ضد ترومان .. وازاء هذه التطورات السريعة ، رأى كليفورد ان من الضروري كسب الاصوات اليهودية مهما كلف الامر ..

وهكذا اختلى ترومان طيلة يوم ١٤ ايار ، بمستشاريه المقربين وبحث معهم الموقف بصورة جدية ، كما اجتمع الى فرانك غولدمان رئيس مؤسسة « بناي بريث » الصهيونية التي ينتمي اليها صديق ترومان الحميم وشريكه القديم اليهودي « ادي جاكبسون » .. كما ان عضو الكونجرس « سول بلوم » ابرق الى ترومان يقول : ان على الولايات المتحدة ان تعترف بالدولة اليهودية الجديدة ، وبـــذلك تساعد على منع نفوذ السوفيات من التغلغل الى فلسطين والشرق الاوسط .. » وظل البيت الابيض طيلة ذاك اليوم معتصمـــاً بالصمت المطبق ..

وحوالي الساعة الحادية عشرة والنصف من قبل ظهر ذاك اليوم استدعى البيت الابيض الياهو ابشتاين (وكان في ذلك الوقت يمثل الوكالة اليهودية بواشنطن . وقد سمي فيما بعـد الياهو

ايلاث واصبح السفير الاول لاسرائيل في الولايات المتحـــدة) وابلغه ان حكومة الولايات المتحدة قررت ان تعترف اعترافاً واقعياً بدولة اسرائيل فور اعلانها ، شرط ان توجه الدولة الجديدة كتاباً تطلب فيه الاعتراف بها ..

واجاب ابشتاين بان الدولة الجديدة لا يسعها ارسال مثل هذا الكتاب قبل مولدها.. (اي قبيل الساعة السادسة مساء حسب توقيت واشنطن) ووعد بان يتصل بتل ابيب ويبلغها رغبـــة الرئيس ترومان .

جرت كل هذه التطورات الخطيرة في جو بالغ من الكتمان ، بل ان البيت الابيض قرر ابقاء قرار الاعتراف في طي الكتمان ، وخاصة عن ناظر الخارجية مارشال او اي شخص آخر من موظفي الخارجية ، لتحاشي اي معارضة قد يثيرها مارشال ، ولان نايلز وكليفورد كانا يخشيان ان يعمد ترومان الى تأجيل الاعتراف .. وفي حوالي الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم ، ترامى الى سمع الجنرال مارشال ان الرئيس ترومان ينوي اصدار قرار يعترف به بدولة اسرائيل فور اعلانها عند الساعة السادسة . فاتصل بالبيت الابيض يستوثق من صحة النبأ ، فقيل له ان الرئيس ترومان لا يريد ابلاغ الخبر ، قبل موعد اذاعته ، الى نظارة الخارجية او الى الوفد الاميركي بنيويورك حيث تجتمع هيئة الامم لبحث مشروع الوصاية الذي تقدمت به اميركا نفسها .

وقبل حلول الساعة السادسة بقليل ، ابلغ مارشال عدداً من مساعديه بالقرار الذي سيصدر بعد دقائق .

في الساعة السادسة تماماً حسب توقيت واشنطن « الساعة ١٢ حسب توقيت القاهرة » أُعلن نبأ نهاية الانتداب على فلسطين .. وفي الساعة السادسة والدقيقة الواحدة اعلن قيام دولة اسرائيل الجديدة ..

وفي الساعة السادسة واحدى عشرة دقيقة تمّ اعتراف الولايات المتحدة بالدولة الجديدة .. فقد دعا تشارلز روس الملحق الصحفي في البيت الابيض ، رجال الصحافة الى مكتبه وتلا عليهم قراراً مؤلفاً من سطرين ، يتضمن اعتراف الرئيس ترومان بدولة اسرائيل اعترافاً واقعياً ، وقد شفع القرار بتمنيات الرئيس الاميركي للدولة الجديدة ، لاقرار السلام في تلك الربوع ..

.. وبينما كانت الادارة الاميركية في واشنطن تعترف بسيادة اسرائيل واستقلالها ، كان المندوب الاميركي في هيئة الامم ما يزال يدافع عن مشروع الوصاية على فلسطين ..!

وفي هذه الاثناء تلقى دين روسك اوامر من البيت الابيض بابلاغ السفير اوستن بقرار الرئيس ترومان ، فتولى نقل النبأ الى اوستن في غرفته في اوتيل والدورف استوريا .. ومن حسن حظ اوستن انه لم يكن حاضراً آنذاك في اجتماع الجمعية العمومية التي كانت تواصل بحثها لمشروع الوصاية الاميركي ..!

وعلى أثر اذاعة النبأ .. انتشرت الشائعات متضاربة في فلاشنغ ميدوز عن الدوافع التي أدت الى اصدار هذا القرار ..

والطريف في الامر .. ان الجمعية العمومية ظلت ، على الرغم من كل هذا ، تواصل عقد اجتماعها الخامس والثلاثين بعد المائة ، برئاسة

المندوب الارجنتيني ، لمناقشة مسألة تدويل القدس ، بعد أن تمّ التصويت على تعيين مفوض سامٍ من قبل هيئة الامم على المدينة المقدسة .

وقد حدث في حوالى الساعة السادسة ان وقف مندوب كولومبيا السنيور كونزاليس فرنانذز يسأل مندوب الولايات لمتحدة اذا كان في وضع يسمح له ان يؤكد الانباء الواردة في الصحف عن قيام دولة اسرائيل واعتراف الولايات المتحدة فيها ، عقب اعلان مولدها .. فأجابه فرنسيس سايرِ احد اعضاء الوفد الاميركي انه لم يتلق حتى الآن معلومات رسمية عن الموضوع ، ولم يتمالك مندوب كوبا عندها من ان يقف مبدياً دهشته واستغرابه لجهل الوفد الاميركي لهذا الموضوع وقال :

« يبدو لي ان مندوبي روسيا السوفياتية وبولونيا اكثر اطلاعاً على التطورات الاخيرة التي جرت في واشنطن من اعضاء الوفد الاميركي نفسه .. »

وخلص المندوب الكوبي الى القول :

« اذا كانت الولايات المتحدة قد اعترفت بالدولة اليهودية الجديدة ، فلا حاجة بنا بعد الآن لمناقشة المشروع المعروض على البحث .. »

ولم يمض وقت طويل على هذا الحديث ، حتى وقف البروفسور فيليب جسب نائب رئيس الوفد الاميركي يعلن ان الوفد الاميركي تلقى الآن معلومات رسمية يمكنه اطلاع الهيئة عليها ، وتناول ورقة من مساعده وراح يتلو مضمونها ، وهذا نصها :

« لقد تلقت هذه الحكومة معلومات
تفيد ان دولة يهودية قد قامت في فلسطين
وهي تطلب الاعتراف بحكومتها المؤقتة .
وقد اعترفت حكومة الولايات المتحدة
بالحكومة المؤقتة اعترافاً واقعياً كسلطة
مسؤولة عن دولة اسرائيل . . . »

على هذه الصورة .. تلقى الوفد الاميركي في هيئة الامم قرار الرئيس ترومان التاريخي ..

ولقد كانت العبارة الواردة في قرار ترومان والفائلة : « ... وهي تطلب الاعتراف بحكومتها المؤقتة . » غير رسمية ، لان الرئيس الاميركي لم يتلق سوى رسالة مؤرخة في ١٤ ايار ١٩٤٨ من الوكالة اليهودية وموقعة من الياهو ابشتاين ، وتقول : «لقد تقرر ان يذاع نبأ اعلان اسرائيل في منتصف ليل ١٤ ايار..» وقد كانت السلطة الرسمية على فلسطين في الوقت الذي كتبت فيه هذه الرسالة وتلقتها الدوائر المسؤولة في البيت الابيض، هي السلطة البريطانية المنتدبة دون غيرها ..

ولكن الذي حدث .. انه بعد ٢٤ ساعة من عزم الرئيس على اتخاذ مثل هذا القرار ، تلقت نظارة الخارجية الاميركية برقية من الحكومة المؤقتة لدولة اسرائيل تطلب الاعتراف بها ..

.. وهكذا ارتفع في سماء فلسطين عند الساعة الثانية عشرة والدقيقة الواحدة ، اول علم لدولة اسرائيل ، كما ارتفع في نفس اللحظة نفس العلم في واشنطن على بناية الوكالة اليهودية « سابقاً ».

وبينما كان المندوب السامي البريطاني السير آلن كونتغهام ،

يغادر مرفأ حيفا طوياً آخر عهد للانتداب البريطاني في فلسطين ، الذي استمر اكثر من ربع قرن ، في تلك اللحظة بالذات كان زعماء الصهيونية يعلنون قيام دولة اسرائيل بهذه الكلمات :

« ان هذا العمل هو اعتراف من قبل هيئة الامم المتحدة بحق الشعب اليهودي في إعادة بناء دولته المستقلة .. وهـذا العمل لا يمكن بطلانـه .. وزيادة على ذلك فهو حق صريح للشعب اليهودي ليكون أمة كسائر الأمم ، ضمن دولة مستقلة ..

وبناء عليه فنحن أعضـاء المجلس الوطني الممثل للشعب اليهودي بفلسطين ، والحركة الصهيونية في العالم ، قد عقدنا هذا الاجتماع المهيب ، واستناداً الى الحق التاريخي والوطني للشعب اليهودي ، وقرار الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحـدة ، نعلن في هذه الساعة قيام الدولة اليهودية في فلسطين باسم دولة اسرائيل ..

ونتوجـه بالدعـوة الى جميع الشعب اليهودي في العالم ليقف الى جانبنا ، في تسهيل الهجرة واتعاش دولتنـا ، ومساعدتنا في صراعنا الكبير لتحقيق حلم الاجيال في استرداد ارض اسرائيل .. »

وعند اعلان مولد اسرائيل ، رقص الشعب في شوارع تل ابيب وواشنطن ونيويورك وغيرها من المدن ..

وفي شارع ماستشوساتس ذرف عـدد من الاميركيين دموع

الفرح والتـــأثر عندما سمعوا النشيد اليهودي ، ينشده فريق من الصهيونيين ، بل انهم اشتركوا معهم في ترديد الكلمات العـــبرية « مازلتون » أي حظ سعيد .. كما حمـــلوا الاعلام الاسرائيلية ملوحين بها فرحين مستبشرين ..

ومع ذلك ..

فان الفرح والاستبشار لم يعمّا جميع الانحاء .. فقد كتبت صحيفة « غازيت بوست » في افتتاحيتهـــا تتهكم على قرارات ليك سكسس قائلة : « لقد كان الوفـد الاميركي موضع سخرية باقي الوفود في هيئـة الأمم ، وان قرار الرئيس ترومان الفوري بالاعتراف باسرائيل قد ترك حلفاءنا في دوّامة من الظلام والحيرة .. كما وضع نظارة الخارجية في فوضى ظاهرة . »

اما صحيفة « رتشموند تايمس » فاشارت الى الاصوات اليهودية التي يرجو ان يكسبها الحزب الديمقراطي الحاكم في الانتخابات القادمة من جراء ذلك ...

بينما هاجمت صحيفة « بوست ديسباتش » في مدينة سان لويس، السياسة التي اتبعها البيت الأبيض والعوامل التي حدت به لسلوك هذا المسلك ضارباً عرض الحائط بالمصالح الدولية في سبيل كسب اصوات اليهود ...

الفصل الخامس

استجداء اصوات اليهود

*

في عام ١٩٢٢ فُرض نظام الانتداب البريطاني على فلسطين بموجب قرار اتخذته عصبة الامم ، ولم تكن الولايات المتحدة عضوة آنذاك في هذه العصبة ، فلم تشترك اذن في اقرار ذاك النظام.

ولكن ، على الرغم من هذا ، اتخذ الكونجرس الاميركي في نفس السنة ، قراراً بالموافقة على فكرة انشاء « وطن قومي يهودي » . كما اتخذ عدة قرارات مشابهة لتدعيم هذه الفكرة في فترات متقطعة دون ان تلاقي اية معارضة ، كما ادى عدد من رؤساء الجمهوريات خدمات ملموسة لتأييد الصهيونية في مطامعها .

والكلمات الـ (٦٧) الغامضة الواردة في وعد بلفور ، والتي تضمنها صك الانتداب ، قد ضمنت موافقة البيت الابيض دوماً.

ففي اثناء اجتماعات اللجنة المركزية لنظارة الخارجية لبحث مقررات لجنة رايت وكومبتون عن فلسطين عام ١٩٤٤ ، استشهد

« سول بلوم » ببعض الفقرات الواردة على لسان الرئيس ودرد ويلسن التي يقول فيها :

« انني مقتنع ان الامم الحليفة مع موافقة حكومتنا وشعبنا تعلم بان في فلسطين ستقام الاسس لدولة يهودية « كومنولث » . »

وقد استغل دعاة الصهيونية تصريح ويلسن هذا فرددوه مراراً في دعايتهم لتدعيم قضيتهم ، ويجب القول هنا انه لم يصدر عن الرئيس ويلسن مثل ذلك التصريح ابداً . .

فعند عودة الرئيس ويلسن من مؤتمر السلم بباريس في اذار عام ١٩١٩ ، الى الولايات المتحدة نشرت الصحافة المصرية برقية صادرة عن واشنطن بتاريخ الرابع من اذار ، بصفة بلاغ رسمي اذاعته الوكالة الدبلوماسية الاميركية بالقاهرة وهذا نصها :

« قابل وفد من اليهود يرئسه القاضي جوليان ماك ، الرئيس ويلسن وبحث معه مستقبل فلسطين ، وقد ابدى الرئيس تأييده لحقوق الشعب اليهودي في المساواة ، منوهاً بانه قد سبق له ان ابدى موافقته الشخصية على تصريح للحكومة البريطانية يعترف بحقوق اليهود التاريخية في فلسطين ، وقال **انه مقتنع بان الامم الحليفة مع موافقة حكومتنا وشعبنا تعلم بان في فلسطين ستقام الاسس لدولة يهودية (كومنولث) . »**

انتهى

وفي احدى اجتماعات الممثلين الدبلوماسيين بباريس وكان روبرت لانسنغ يمثل الولايات المتحدة ، جرت مناقشة حادة حول صحة هذا التصريح وقد تضمنت الوقائع الرسمية لهذا الاجتماع ما يلي :

«ان الدبلوماسيين يشكون في صحة صدور مثل هذا التصريح عن الرئيس الاميركي ، ولذلك يجب المبادرة بالاتصال بالرئيس لسؤاله عن صحته ، وفي حال عدم صدور مثل هذا التصريح عن الرئيس، يجب اذاعة بلاغ بتكذيبه.»

وعندما حضر الرئيس ويلسن الى باريس يوم ١٣ نيسان، عرض عليه لانسنغ نص التصريح ، وفي ١٦ نيسان بعث الرئيس ويلسن الى وزيره لانسنغ بالكتاب التالي الى فندق كريون، وهذا نصه:

« عزيزي لانسنغ .

انني لم اصرح ابداً بهذا التصريح ، وبالتالي فان عباراته لا تدل على انها كلماتي... ومع ان التصريح المنسوب الي عن « تأسيس دولة يهودية (كومنولث) .. » قد سبقت قليلا ما اقصده في الوقت الحاضر ، فان كل ما اقصده هو تعزيز موافقتنا الصريحة لموقف الحكومة البريطانية من قضية فلسطين... »

وهكذا يتضح جلياً ان الصهيونية كانت تعتمد في نشر دعايتها على اقوال مزورة لتدعم قضيتها ..

ومع ان مقررات رايت و كومبتون قد صرف النظر عنها ، فان نتائج هذه الاجتماعات قد استغلت في وسائل الدعاية الصهيونية.

بل ان عدداً من اعضاء الكونجرس الاميركي الذين يظاهرون الصهيونية ويؤيدونها لم يتورعوا عن تأكيد تصريح ويلسن المزعوم .

وفي عام ١٩٤٥ ، اتخذ الكونجرس قراراً آخر بالموافقة على فتح ابواب فلسطين امام اليهود والسماح لهم باستغلال « اقصى

امكانيات البلاد الزراعية والاقتصادية ، ليتمكنوا من المباشرة بحرية مطلقة من اعداد فلسطين لكي تصبح «وطناً قومياً لليهود» وقد جاء قرار الكونجرس هذا ، اكثر شمولاً من التعهد الوارد في وعد بلفور وصك الانتداب الذي اقرته عصبة الامم.

وكان من عادة الرئيس روزفلت ، ذلك السياسي الماهر ، ان يقول «نعم» لكل انسان ، فقد قال لوايزمن عام ١٩٤٢ بانه يرغب في ان تسوّى قضية فلسطين . وفي عام ١٩٤٣ بعث الى الملك ابن سعود برسالة سرية يؤكد فيها للعاهل السعودي بانه لن يطرأ اي تبديل على الوضع في فلسطين دون استشارة العرب واليهود.

وفي مالطة عام ١٩٤٥ ، عندما كان الرئيس روزفلت ذاهباً لحضور مؤتمر يالتا ، اعلن لونستن تشرشل رغبته الاكيدة باحلال السلام بين العرب واليهود ، كما اعلن عن عزمه في زيارة الملك ابن سعود .

ويقول جيمس بيرنز في مذكراته ان رئيس الحكومة البريطانية ابدى تشاؤمه من هذه الزيارة ، ولكنه تمنى للرئيس الاميركي التوفيق .

وبعد انتهاء مؤتمر يالتا ، تمّ الاجتماع بين الرئيس روزفلت والملك ابن سعود على ظهر المدرعة الاميركية « كوينسي» شرقي البحر المتوسط ، وقد أكد الرئيس الاميركي للعاهل السعودي : «بانه لن تقوم حركة عدائية ضد الشعب العربي من قبل الاميركيين »

وقد كتب النائب البريطاني كروسمان ، احد انصار الصهيونية ، فيما بعد يقول : «ان الرئيس الاميركي اسرع عائداً

من القرم الى واشنطن ليؤكد للصهيونيين بان موقفه لا يختلف عما صرح به من قبل .. »

وقبل وفاة الرئيس روزفلت باسبوع بعث برسالة الى الملك السعودي يؤكد له مجدداً عزمه على معاملة العرب معاملة عادلة .

والجدير بالذكر ان الصهيونيين كانوا في عهد الرئيس روزفلت، على علاقة محدودة بالبيت الابيض ...

وكان المجلس الاميركي الصهيوني يتألف من بضع مئات من اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي والحكام وعدد من الشخصيات ذات النفوذ في مختلف مرافق الحياة .

وقد وضع ١٣ شخصاً و ١٨١ عضواً من اعضاء الكونجرس في كانون الاول ١٩٤٢ بياناً مشتركاً دعوا فيه الرئيس روزفلت «لاعادة الوطن القومي اليهودي ».

ولكن الرئيس روزفلت ... وهذا ما وصفه به الصهيونيون ـ كان يبدي عدم مبالاة ظاهرة لهذا القضية ومع انه لم يبد اي رغبة صادقة في مساعدتهم ، فلم يجرؤ زعماء الصهيونية على مهاجمته او معارضة سياسته ، لسبب اعلنه بصراحة الدكتور نيومن فيما بعد عندما قال :

« .. لقد كان اليهود في اميركا وفي انحاء العالم ينظرون الى روزفلت كأعظم صديق وحليف لشعبهم .. وكان من العسير على زعمائهم ان يصارحوا اولئك الناس بحقيقة موقف روزفلت .. لان هناك حاجة نفسانية ملحة ، ترغم الشعب اليهودي في ظروفه الحرجة على التوجه بالغريزة الى حليفه او حاميه ، واذا لم يكن هذا

الحليف تشرشل او ستالين مثلاً .. فلا بد ان يكون روزفلت . وهذا الاعتماد الغريزي على روزفلت كان وليد اعتبارات شتى .. مثلاً كان من المحتمل جداً ان يعاد انتخابه مرة اخرى .. وان يلعب دوراً كبيراً في تسوية مشاكل ما بعد الحرب ... ولذلك فان كل معارضة او مهاجمة له معناها خلق صعوبات جمة في وجه الحركة الصهيونية واهدافها ، قد تودي بها ... »

ولكن ما ان تسلم هاري ترومان الرئاسة بعد وفاة روزفلت حتى تبدلت الحال بالنسبة للصهيونية ، فقد كان خليفة روزفلت الجديد حليفاً عملياً للصهيونيين بحكم علاقته السابقة بعدد من اليهود .. حتى انه اصطدم ذات يوم بالمستر بيفن وزير خارجية بريطانيا من اجل الصهيونية ، كما انه ارغم نظارة الخارجية الاميركية على ان تماشيه في سياسته الودية للصهيونية .

وقد اعتمدت المنظمات الصهيونية كثيراً على المكتب التنفيذي للبيت الابيض الذي يرجع اليه الفضل الاكبر في توجيه اهتمام ترومان الدائم نحو الصهيونية .

وقد حدث عندما انتهت مدة رئاسة ترومان عام ١٩٥٢ ، ان نشرت بعض الصحف الاميركية تعليقاً على الدور الذي لعبه دافيد نايلز احد مستشاري الرئيس الاميركي فوصفته بانه كان العامل الاول في حمل ترومان على خلق دولة اسرائيل وانعاشها .. اما الفضل في تعيين نايلز في البيت الابيض فيرجع الى هاري هوبكنز ؛ وقد راح نايلز يترقى بعد ذلك في منصبه حتى اصبح في عهد ترومان عضواً

في الهيئة المختارة لمستشاري الرئيس السريين ، واطلقوا عليه عندها لقب « رجل ترومان الغامض » ..

ولكن الدور الحقيقي الذي لعبه نايلز في القضية الفلسطينية ظل مجهولاً من الرأي العام الاميركي..

ففي عهد الرئيس روزفلت عهد الى نايلز بمعالجة بعض القضايا المتعلقة بالاقليات ، ولكن عندما اثقل كاهل الرئيس بالمسؤوليات الجسام، اضيف الى عمل نايلز الاول قضايا اخرى.. وهكذا تدرج نايلز حتى تولى ارفع المناصب في البيت الابيض واصبح يسمى فيما بعد السفير اليهودي الاول في البيت الابيض .

وعندما تولى ترومان الرئاسة ، كانت قضية فلسطين قد احتلت مكان الصدارة ، وكان نايلز يوليها كل اهتمامه.. فتضافرت جهود ادي جاكبسون وترومان ونايلز من اجل اقامة دولة اسرائيل .. والثابت ان نايلز كان محور الحركة .. فقد كان ، قبل مجيء ترومان الى البيت الابيض ، يبذل المساعي الجدية لخلق الدولة اليهودية .

كما ادى لها بعد التقسيم خدمات جلى :

ففي عام ١٩٥٠ ، عندما تيقظت الولايات المتحدة للخطر الشيوعي في الشرق الاوسط طلبت عن طريق ممثليها الدبلوماسيين ، معلومات صحيحة من حكومات الدول العربية عن قواتها العسكرية ، والمعدات الحربية التي تملكها وغيرها من الحقائق الحربية السرية ، وقد كانت هذه المعلومات الحربية السرية ضرورية

ليتم على ضوئها تقديم المساعدات العسكريه لدول الشرق الاوسط وفقاً لقانون الأمن المتبادل .

وقد اعطت حكومة الولايات المتحدة التعهـــدات للدول العربية بان المعلومات العسكريةالتي ستزود بها هيئة الاركان العامة الاميركية ستظل سراً مكتوماً .

وبعد مضي اشهر قليلة من تلك السنة اجتمـع ممثلو الدول العربية العسكريون وممثل اسرائيل برئاسة الجنرال رابلي كبير مراقبي الهدنـــة ، في واشنطن لبحث الاصطدامات الدموية التي جرت قرب مستنقعات الحولة .

وقد ادعى ممثل اسرائيل العسكري ان القوات السورية قد قامت باعمال عسكرية متفرقة في عدة مناطق من الحدود .

فرد عليه الجنرال رابلي بقوله : « ليس هـذا ممكناً ، لان سوريا لا تملك مثل هذا العدد من القوات لتستخدمها دفعة واحدة .

فانبرى ممثل اسرائيل عندها يقول لرابلي : « انك مخطيء في تقديرك ، فهذه هي الارقام الصحيحة للقوات السورية المسلحة ، والوصف الدقيق للتجهيزات العسكرية ... »

ودعم قوله بتقديم نسخة عن الارقـــام التي كانت الحكومة السوريةقد زودت بها هيئة الاركان الاميركية ،والتي لا يعلم الجنرال رابلي نفسه عنها شيئاً .

وعندما اثيرت قضية القوى العسكرية المصرية ، ظهر بين يدي ممثل اسرائيل نسخة مماثلة عن قوات الجيش المصري وتجهيزاته .

واستناداً الى التحقيقات التي قـــام بها مكتب استخبارات

الجيش الاميركي وادارة الامن المركزية ، تبين ان نسخة عن هذه الارقام السرية كانت قد وضعت تحت تصرف البيت الابيض ، اما كيف انتقلت هذه المعلومات الى اسرائيل وبواسطة من . . ؟ فقد ظل سراً غامضاً مجهولاً وان كان الثابت ان نايلز هو الفاعل .

وعلى اثر هذه الفضيحة ، قصد رئيس اركان حرب الجيش الاميركي عمر برادلي الى الرئيس ترومان ، وهدده بالاستقالة ان لم ينح نايلز عن البيت الابيض . .

وبعد مدة قصيرة من هذا التدخل ، استقال نايلز من منصبه بالبيت الابيض وسافر الى اسرائيل . !!

من المسلم به ان تأييد الاثنتي وثلاثين دولة لقرار التقسيم كان وليد اعتبارات انسانية بحتة ، ولكن الثابت ان الولايات المتحدة وهي الدولة الثالثة والثلاثون كانت المسؤولة الوحيدة في حمل بعض مندوبي الدول على التصويت الى جانب قرار التقسيم .

اما الدافع الحقيقي لسياسة الولايات المتحدة من القضية الفلسطينية فقد اشار اليه بصراحة « ارنست لندلي » في صحيفة واشنطن بوست اذ قال :

« ان سياسة الولايات المتحدة تجاه فلسطين قد تأثرت كثيراً بلا شك بنفوذ الصهيونيين الاميركيين ، ولقد كان للسياسة المحلية العامل المسيطر والاول في توجيه الوضع بفلسطين لمصلحة الصهيونية . . »

وقد حدث في اثناء مأدبة غداء اقيمت لاعضاء الحكومة الاميركية بالبيت الابيض في ٤ ايلول ١٩٤٧ ، ان اقترح الجنرال هانيغان على الرئيس ترومان اصدار بيان يؤيد فيه ادخال ١٥٠ الف

يهودي الى فلسطين .

وقال هانيغان ان اصدار مثل هذا البيان سيكون له الاثر الكبير في زيادة القروض الى اللجنة الوطنية الديمقراطية (وهي اللجنة المشرفة على الحزب الديمقراطي الذي ينتمي اليه ترومان) لان هناك مبالغ ضخمة قد جمعت من المتبرعين اليهود حتى الآن لتعزيز هذه اللجنة الديمقراطية .

وعلق الجنرال فورستال فيما بعد على هذا الحديث فقال : ان النتيجة جاءت مخيبة لامال ترومان والحزب الديمقراطي معاً لانها لم تسفر عن النتائج المنتظرة في حملة الانتخابات في نيويورك حيث يملك اليهود عدداً كبيراً من الاصوات . .»

وقد سعى الجنرال فورستال ، ابان حملة الانتخابات ، ما في وسعه لان يقنع كلا الحزبين المتنافسين (الديمقراطي والجمهوري) بابعاد قضية فلسطين عن المعترك السياسي ، حتى لا يستغلها احد الحزبين في الدعاية لحملته الانتخابية ، ولكن هذه الفكرة لم ترق ابداً لرئيس اللجنة الديمقراطية هوارد ماكغراث الذي قال ان قسماً كبيراً من المبالغ المتبرع بها الى اللجنة الديمقراطية انما جاءت من شعب يريد ان يثبت ان بامكانه التعبير عن وجهات نظره في قضايا معينة كقضية فلسطين بالذات . .

واضاف ان هناك بعض الولايات لا يمكن كسب اصوات ناخبيها الا بمساعدة ذلك الشعب الذي يرى في قضية فلسطين قضيته الاولى . . وانه — اي ماكغراث — لا يمكنه ان يفهم رأي فورستال القائل : بانه يفضل ان يخسر اصوات تلك الولايات على

ان يعرّض البلاد باجمعها الى اخطار جسيمة قد تنشأ عن الاندفاع وراء قضية فلسطين ، وانه لا يجب السماح لأية فئة من المواطنين في هذه البلاد ان تؤثر في سياستنا او ان تعرض سلامتنا الوطنية لاخطار لا نعرف نتائجها .. »

ومع كل هذه الحقـــائق والمساعي ، ظل ماكغراث على عنـــاده ..

وقد كتب فورستال عن محادثاته مع ناظر الخارجية السابـق جيمس بيرنز يقول: «بانه ـ اي بيرنز ـ لم يوافق على قرار الرئيس ترومان في تحرير « تقرير كريـدي » الذي اوصى باقامـة دولة فدرالية بفلسطين او انشاء دولة عربية واحدة هناك .. ثم ذكر بيرنز كيف ان الرئيس ترومان وجه انتقادات مرّة الى البريطانيين لموقفهم من قضايا فلسطين ، مما احرج موقف رئيس الحكومة البريطانية اتلي ووزير خارجيتها بيفن ..

واضاف بيرنز ان المسؤولية الكبرى لهذه السياسة الحمقاء تقع على عاتقي دافيد نايلز وسام روزنمان ، المقربين من الرئيس الاميركي. كما اكد ناظر الخارجية السابق لفورستال ان زعماء الحزب الجمهوري لن يوافقوا ايضاً على ابعاد قضية فلسطين عن النضال السياسي المحلي لان الحاخام سيلفر هو من مؤيدي الجمهوريين ومن الاصدقـــاء المقربين للشيخ الجمهوري تافت ».

وعلى الرغم من كل تلك الصدمات ، فقد واصل فورستـال مساعيه في هذا المضمار ، خاصة عندما بدأت نقمة البلدان العربية تتضح وتزداد عنفاً وشدة على سياسة الولايات المتحـدة .. فراح

يضاعف من جهوده في اوساط الحزبين محاولاً اقناعهما للاتفاق على خطة موحدة يسيران عليها في المستقبل وتعتمد على وضع مصالح الولايات المتحدة فوق كل اعتبار. فطلب من قادة الحزبين المتنافسين ديوي وستاسن وتافت وماكغرات والجنرال برادلي ان يقصروا اهتمامهم على اهمية الشرق الاوسط الستراتيجية وابعاد خطر تسرب السوفيات اليه، دون التدخل في اوضاعه الداخلية. وظل يعمل بضعة شهور دون ان يتمكن من اقناع حتى المعتدلين من الحزب الجمهوري امثال ونتروب ألدريتش وجون فوستر دالز والشيخ ارثر فاندنبرغ.

وكان من جملة الاعضاء البارزين في الحزب الديمقراطي الذين تحدث معهم فورستال عن خطته، عضو الكونجرس فرانكلين روزفلت ابن الرئيس روزفلت الراحل، وكان من اشد انصار الصهيونية تحمساً، وقد اطلعه فورستال على ضروب الضغط والمناورات التي يقوم بها بعض زعماء الحزب الديمقراطي للضغط على عدد من مندوبي الدول الاجنبية في هيئة الامم، هذه المناورات التي من شأنها ان تثير فضيحة دولية ..

وقد اجابه روزفلت «الصغير» ان من المستحيل على الحزبين ان يتفقا على هذه القضية، لان مثل هذا الاتفاق قد يلحق خسارة جسيمة بالحزب الديمقراطي، بينما يستفيد منه منافسه الحزب الجمهوري.

ورد فورستال على هذا المنطق رداً قاسياً اذ قال: «اعتقد ان الوقت قد حان لان يمعن كل منا النظر، فيما اذا كنا سنخسر الولايات المتحدة من جراء هذه السياسة الحرقاء..»

وكان من الطبيعي ، ان تشن الصحافة المأجورة الصهيونية ، حملة شتائم ضخمة على فورستال وآرائه الجنونية؛ وقد تحمّل فورستال لذع السياط الصهيونية مدة طويلة، حتى من اقرب اصدقائه ، فقد تلقى مرة رسالة قاسية من صديقه برنارد باروخ ينصحه فيها بوقف نشاطه المعادي للصهيونية ، فتجاهل فورستال هذه النصيحة المبطنة بالتهديد واستمر في مساعيه ، لانه كان يدرك اهمية الشرق الاوسط الستراتيجية ، ولأن مستشاريه العسكريين اعلنوا بصراحة ان اضطرابات خطيرة سوف تنشأ في تلك المنطقة بعد جلاء القوات البريطانية عن فلسطين ولن يستفيد منها سوى روسيا السوفياتية ..

من اجل ابعاد هذا الخطر ، قام فورستال بمساعيه المنفردة ، **محاولاً ان يحتفظ للولايات المتحدة بمقدار قليل من صداقة العرب.**

وقد وصف احد انصار الصهيونية فيما بعد فورستال بقوله :

« لم يكن فورستال عدواً للسامية او لاسرائيل .. كما انه لم يكن متأثراً بمنابع البترول .. ولكنه اقتنع ان قرار التقسيم لا يتفق ومصالح الولايات المتحدة كل الاتفاق .. فعارضه .

ومن المؤكد انه لا يستحق ان تشن عليه مثل تلك الحملات الخبيثة ، التي ساعدت على تحطيم جسده وعقله ، ولان هذه الحملات المغرضة تقف كأبشع مثل على رغبة الساسة وابطال الدعايات في استخدام احقر الوسائل – باسم الوطنية – للقضاء على الرجال المخلصين من ابنائنا !.. »

وهذه الكلمات .. هي التي كتبها جيمس ماكدونالد اول

سفير للولايات المتحدة في اسرائيل، في كتابه «رسالتي الى اسرائيل».

بالاختصار، لقد كان فورستال رجلاً بعيـــد النظر، فأدرك ان منطقة الشرق الاوسط قد تحل مكان منـــابع الكرايب، كأعظم مركز للتموين بالبترول في الحرب القادمة ضد الشيوعية.

والامر الوحيد الذي هدّ كيان هذا الرجل الحساس، واودى بحياته فيما بعد، هو ان مشاريعه ومساعيه فشلت مع انها لم تكن ملطخة بالدماء البريئة ..!

وجدير بالذكر ان كل ما توقعه فورستال قد حدث فيما بعد.

***

بعد مضي اسبوعين على مؤتمر الحزب الديمقراطي عام ١٩٤٨ اصدر الرئيس ترومان اوامره الى نظارة الخارجية بتعيين جيمس ماكدونالد سفيراً لدى دولة اسرائيل الجديدة.

والمعروف عن ماكدونالد انه من اشدّ المتحمسين للصهيونيه، ولهذا السبب وقع عليه اختيار البيت الابيض، كما ان هذا التعيين تمّ بناء لرغبة ماكدونالد نفسه.

وقد حدث قبل صدور مرسوم التعيين، ان عقـد اجتماع في البيت الابيض حضره كل من دافيد نايلز وكلارك كليفورد والجنرال هليدرنغ ومارشال ناظر الخارجية، وقـــد ابدى مارشال خلال الاجتماع سخطه على هذا التعيين، كما انتقد بعنف قرار الاعتراف باسرائيل الذي تمّ دون استشارة المسؤولين في الحكومة.

والحقيقـــة ان تعيين ماكدونالد سفيراً للولايات المتحدة في اسرائيل، كان عملاً فريداً في نوعه، فان ماكدونالد، بالاضافة الى كونه ممثلاً لبلاده لدى اسرائيل، كان بنظر اليهود يمثل الحزب

الديمقراطي الحاكم ، ومهمته هي تزويد الرئيس الاميركي وزعماء الحزب بالمعلومات والارشادات التي من شأنها الاحتفاظ بالسيطرة على «الاصوات اليهودية» .

ويبرز ذلك واضحاً في الرسالة التي وجهها ترومان الى سفيره ماكدونالد بتاريخ ١٣ تموز ١٩٤٨ اذ قال فيها بعد ان تمنى له التوفيق في منصبه الجديد :

«.. وارجو منك ان تزودني باستمرار بالمعلومات المتعلقة بمنع شحن الاسلحة والوقت المناسب للاعتراف الكامل باسرائيل ، وانواع المساعدات المطلوبة للنهوض بالدولة الجديدة . »

ولكن في الساعة التي وعد بها الرئيس ترومان بالاعتراف الكامل بدولة اسرائيل ، بعث مساعد ناظر الخارجية لوفيت وكبار موظفي الخارجيه الى السفير يعلمونه بالصعوبات الجمة التي تعترض سبيل الاعتراف القانوني بدولة اسرائيل ، ويرون انه من الضروري التريث حتى يستتب الامر لحكومة اسرائيل المؤقتة.

وفي طريقه الى اسرائيل ، عرّج جيمس ماكدونالد على لندن حيث قابل وزير الخارجية ارنست بيفن ، وبحث معه الاسباب التي جعلت حكومة بريطانيا تتأخر في الاعتراف باسرائيل ، ثم اشار بلطف الى ان المصلحة المشتركة للحكومتين تقضي بان يوجد ممثل بريطاني الى جانبه في تل ابيب لمراقبة الوضع عن كثب .

وقد انتفض بيفن لهذه «الغمزة» الخفية ، واحمر وجهه غضباً ثم اجابه: « لا اريد الآن مناقشة هذه القضية .. »

فابدى ماكدونالد اعتذاره عندها وقال انه لم يوجه سؤاله

مباشرة ، بل اراد تسجيل حقيقة راهنة .

وقبل ان يغادر ماكدونالد لندن ، ابدى امام عدد من كبار موظفي وزارة الخارجية رغبته الاكيدة في ان تسرع بريطانيا بالاعتراف بالدولة الجديدة ، وكذلك بذل مساعيه الدبلوماسية في روما ، واقنع الكونت كارلو سفورزا وزير الخارجية الايطالية بالاعتراف باسرائيل ، وقد تردد وزير الخارجية الايطالية بعض الشيء في البدء ، خشية ان يؤدي مثل هذا الاعتراف الى اثارة الاضطرابات والقلاقل في مستعمرات ايطاليا الاسلامية « السابقة » .

وهكذا يبدو جلياً ان ماكدونالد كان سفيراً لاسرائيل ، اكثر منه سفيراً للولايات المتحدة في اسرائيل .. فعندما بلغ ماكدونالد جنيف ، قابل حاييم وايزمن ، رئيس دولة اسرائيل المؤقتة الذي كان يستشفي هناك ، وبحث معه في بعض قضايا الدولة الجديدة ، وقد توسل وايزمن الى ماكدونالد ان يذكّر زملاءه في اسرائيل ان يوافوه باخبارهم وتطورات القضية في مستشفاه ، بعد ان قطعوا عنه هذه الاخبار ..

وقد قام ماكدونالد بهذه الخدمة بحماس عند وصوله الى تل ابيب ، فتوسط لدى « كولدا مايرسون » سفيرة اسرائيل في موسكو ، لكي تقنع المسؤولين اليهود بضرورة الاتصال الدائم بوايزمن واعلامه بتطورات الحالة السياسة في الدولة الجديدة .

وفي تل ابيب ، استمر ماكدونالد بانتهاج خطته السابقة في الدعاوة لاسرائيل ، فواصل اتصالاته بالبيت الابيض بدلاً من

الاتصال بنظارة الخارجية بوصفه تابعاً لها مباشرة .

وفي ٢٤ تموز ١٩٤٨ كتب ماكدونالد الى واشنطن يقول : « . . وفي رأيي بما ان الرئيس ونظارة الخارجية متفقان على اقرار السلم في ربوع فلسطين ، فيجب حصر الجهود في السعي للتمهيد لمباحثات السلم .

ومن اجل ذلك ، أرى انّ على الولايات المتحدة ان لا تتأثر بوجهات نظر الوسيط او الحكومة البريطانية نفسها ، لا سيما وان الاخيرة قد بدأت تفقد ثقة اليهود والعرب معاً . . »

وهكذا حكم السفير الاميركي على الكونت برنادوت ، الوسيط الدولي ، بالموت قبل ان يصرعه اليهود الارهابيون الصهيونيون .

* * *

قلنا سابقاً ان دافيد نايلز أدى خدمات جلى الى الصهيونية العالمية وساعد في اقامة دولة اسرائيـــل ، بما له من نفوذ في الاوساط الاميركية وخاصة في البيت الأبيض .

والحق يقال ان مهمـــة نايلز لاقت تربة خصبة بين الاميركيين الذين اعتادوا ان يتحمسوا للأسماء والاعمال الطنانة .

ومن ذلك ، ان اللجنة التي تألفت لاستقبال « مناحيم بيغن » الارهابي اليهودي في نهاية عام ١٩٤٨ ، عندما زار اميركا ، لاقت تأييـــداً كبيراً من بعض الاميركيين ، وكان في جملتهم بعض الشيوخ واعضاء الكونجرس وحكام الولايات وحملة الاقلام وارباب الصحافة حتى رجـــال الدين انفسهم . . كلهم اجتمعوا للاشتراك باستقبال المحتفى به زعيم المنظمة الارهابية « ارغون زفاي ليومي » ولقد وقف احد الحاضرين يمتدح بيغن قائلاً :

« ان قائد منظمة « ارغون زفاي ليومي » قام باعمال باهرة اذ تمكن من تنظيم حركة للمقاومة من فريق من الشعب الاعزل ، الذي ما زال منذ ألفي سنة يعاني الاضطهاد والشقاء ، فقد خلالها روح المقاومة العسكرية ، ومع ذلك فقد تحول باعجوبة الى شعب مناضل قوي الشكيمة ، وبفضل هذه المقاومة اعيدت لليهود كرامتهم واحترامهم . ولولا مقاومة منظمة الارغون العنيفة ، لما تقلص النظام البريطاني عن فلسطين واتاح لليهود ان يقيموا دولة اسرائيل هناك .. »

وقد قوبل مناحيم بيغن بالحماس والتأييد للاعمال « الباهرة » التي قام بها في فلسطين : من نسف فندق الملك داود بما فيه من النزلاء والخدم الأبرياء ... الى وضع قنبلة موقوتة تحت مبنى القنصلية البريطانية ، وشنق عدد من الجنود البريطانيين ، واخيراً وليس آخراً ذبح النساء العربيات والأطفال في دير ياسين ..!!

وعلى الرغم من كل هذه الأعمال الوحشية ، ظل بيغن بالنسبة للجنة الاستقبال الأميركية التي أقامت على شرفه حفلة استقبال فاخرة ، بطل اسرائيل والمرشح الوحيد لتولي رئاسة الحكومة في الدولة اليهودية .

وقد صادفت زيارة بيغن الى الولايات المتحدة ، إبان اشتداد المعركة الانتخابية في عام ١٩٤٨ ، فكانت فرصة سانحة استغلها الحزبان لكسب اصوات اليهود ، بل عمد بعض المرشحين زيادة في استرضاء اليهود الى الايعاز لصحيفة « نيويورك تايمس » لكي تنشر مقالاً عن بيغن بعنوان :

الرجل الذي هزم امبراطورية وكسب المجد لاسرائيل .

وقد تبع حفلة العشاء التي أقيمت على شرفه في فندق «الدورف استوريا» استقبال رسمي في قاعة المدينة ، حيث أعلن انصاره ان الغاية من زيارته هي جمع التبرعات للعمل على ايصاله الى كرسي رئاسة الحكومة في اسرائيل .

والمعروف ان سياسة مناحيم بيغن ، تنـــادي بضم الاردن والبلدان المجاورة الى اسرائيل حتى يتألف من الدولة الجديـدة ، الحدود الاصلية لأرض كنعان .. ومع ان نظارة الخارجيـــة الاميركية كانت قد قررت عدم منح اذن الى بيغن بالدخول الى الولايات المتحدة بعد ان تلقت تقارير واردة من مكتب الشرق الادنى وجنوبي افريقيا ورئيس مكتب قسم السمات (الفيزا) ؛ فقد وردت اشارة سرية من الرئيس ترومان بوجوب السماح له بالدخول مهما كان الامر ..

وهكذا لعبت سياسة الانتخابات للحزب الديمقراطي دورها مرة اخرى في توجيه السياسة الخارجية ..

والحقيقة ان معظم الاعمال الارهابية التي قـامت بها منظمة بيغن ، خلال فترة الانتداب الاخيرة ، وابرزهـــا شنق الضباط البريطانيين وتعليق جثثهم على الاشجار ، ومذبحة دير ياسين ، لا تبررها قوانين او اساليب الدفاع عن النفس المشروعة ..

ومع ذلك فقد وجد في اميركا نفسها .. مَن يقيم الحفـــلات التكريمية على شرف زعيم المنظمة الارهابية ، بل ويتحمس لمبادئه المتطرفة على الرغم مـــن التحذيرات التي وجهها في ذاك الحين ،

الدكتور هنري سلوين كوفن والحاخام موريس لازاروف ، مناشدين الساسة الاميركيين الاغبياء ان ينبذوا بيغن نبذ النواة ويطردوه من اميركا .

وبالفعل فقد تبرأ عدد من الشخصيات الاميركية البارزة من تأييد بيغن ، عندما وقفوا على حقيقة اعماله الارهابية ، فـــاعلن الشيخ ارثر كابر انه لا يعرف كيف حشر اسمه في احدى الصحف عن قضية بيغن ، كما اعلن الشيخ الديمقراطي هربرت او كنور انه ما كان في يوم من الايام ليؤيد الاعمال الارهابية ، ثم تبرأ من اي عـــلاقة تربطه ببيغن . . . وكذلك ابرق عضو الكونجرس جون كندي الى لويس برومفيلد يطلب شطب اسمه من لجنة الاحتفال بمناحيم بيغن ، وهناك عدد من الشيوخ واعضـــاء الكونجرس استهجنوا ادراج اسمائهم في لجنة الاستقبال دون علمهم او موافقتهم ولم يختلف موقف ألبرت انشتاين والبروفسور سيدني هوك وغيرهما من كبار العلماء والشخصيات اليهودية المعتدلة عن موقف العقلا من الاميركيين ، اذ اعلنا منذ اللحظة الاولى معارضتها لسياسة مناحيم بيغن الارهابية التي تشجع العنصرية الدينية .

وفي هذه الدوّامة الصاخبة ، واصل مناحيم بيغن زياراته للولايات الاميركية يرافقه عدد من المستشارين جمع التبرعات ، فعقد عدة مؤتمرات صحيفة شرح فيها اهداف منظمته ، واجاب على عـدة اسئلة تتعلق بنسف فندق الملك داود . ومما قاله عن هذه الحادثة الوحشية ان المسؤولية الاساسية تقع على عاتق حاكم اللواء البريطاني لانه – حسب زعم بيغن – تلقى انذاراً من المنظمة تعلمه انهـــا

قررت نسف الفندق ، فابى ان يجلو بقواته عن المنطقة .

وكذلك نفى بيغن التهمة الملصقة به بانه جندي فار من الجيش البولندي ، وانه كان عميلاً للسوفيات في اسبانيا والصين قبل وصوله الى فلسطين ، وسخر من التهمة الموجهة اليه بان ٢٥٠ عربياً من سكان دير ياسين قد ذهبوا ضحية عصابته الارهـــابية ثم انكرها انكاراً تاماً (ولقد اثيرت مسألة هذه المذبحة فيما بعد من قبل الملك عبد الله ، وقد تلقى جلالتـه من بن غوريون اعتذاراً ، وكذلك اعتذرت الوكالة اليهودية واصفة هذه الاعمال الوحشية التي قام بها بعض اليهود بانها اعمال تعافها النفس الكريمة) . ولكنه في حديث له مع صحيفة «ريفولت» فاخر ببطولة عصابته واعمالها المجيدة، وزل به اللسان فأتى على ذكر مذبحة دير ياسين وعدّها من الاعمـــال البطولية التي قام بها مع منظمته . .

وفي مذكراته ، يشير بيغن الى الحماس والتأييـــد الكبيرين اللذين لاقاهما في كافة الاوساط اليهودية والاميركيـة في مختلف الولايات .

وقـــد كان في طليعة المدافعين عن بيغن الدكتور نيومن الذي وصف حملة كوفن ولا زارون على بيغن بانها حملة يقصد بها عرقلة تقدم اليهودية في فلسطين .

ولم يجرؤ يهودي واحد على كتابة ما كتبه المرحوم الدكتور يهودا ماغنز رئيس الجامعة العبرية بالقدس عندما قال :

« انه من السهل جداً رفع الصوت باعلان ان اليهود الارهابيين هم وحدهم المسؤولون عن الجرائم الوحشية التي حدثت في الارض

المقدسة ؛ ولكن من هو المسؤول عن الارهابيين ؟.. ان كل واحد منا – اي اليهود – يحمل شيئاً من المسؤولية ، ولكن الوزر الاكبر يقع على عاتق الاميركيين الذين ساندوا هؤلاء الارهابيين .. ومن بينهم فريق من الشيوخ واعضاء الكونجرس ورجال الصحافة ودور النشر والكتاب، وعدد من كبار الاغنياء اليهود الذين مدوا الحركة مادياً ومعنوياً ... »

ومع ان التبرعات التي كان مناحيم بيغن يجمعها من الولايات المتحدة لا تمت بصلة الى الاعمال الخيرية او الانسانية ، فقد اجيز له جمع مثل هذه التبرعات بل انها اعفيت من الضرائب والرسوم . !

وبعد ان تمّ مناحيم بيغن مهمته « النبيلة » عاد الى اسرائيل ليحتل مقعداً مرموقاً كعضو في الكنيست (البرلمان اليهودي) الى جانب زميله ناثان فريدمن زعيم عصابة شترن (الذي اطلق سراحه). وفي الكنيست ، واصل بيغن اعماله ونشاطه ممثلاً للجناح اليميني المتطرف من البرلمان والمعروف باسم « حزب هاروت » الذي يطالب بتوسيع ارض اسرائيل حتى تشمل معظم البلدان العربية المجاورة ..